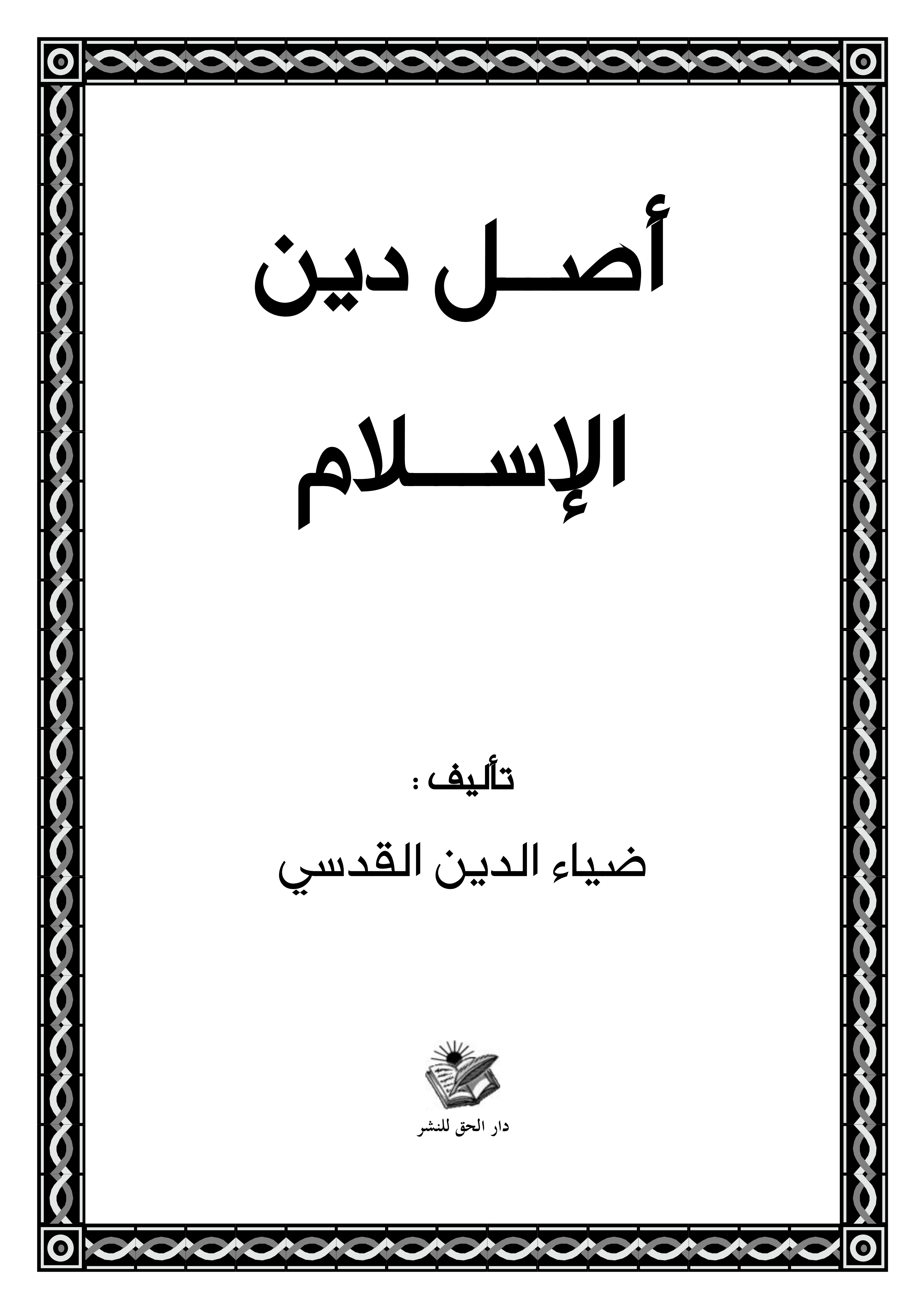


أصــل دين الإســـلام

تأليف :

ضياء الدين القدسي

دار الحق للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

إن الغاية من وجود الإنسان ، بل والخلق كله ، عبادة الله تعالى وحده لا شريك له .

كما قال تعالى : **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾** [الذاريات: 56] وقال تعالى: **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾** [البينة: 5] وقال تعالى :**﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** [الروم: 30]

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : **"كل مولود يولد على الفطرة .." رواه مسلم**

وفي الحديث القدسي : " **إني خلقت عبادي حنفاء كلهم** (أي مسلمين موحدين خالين من الشرك) **وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا " رواه مسلم**

فشياطين الإنس والجن عملت منذ القدم – ولا تزال – على صرف الناس عن التوحيد الخالص ، وتأمرهم بعبادة غير الله عز وجل . فهي تارة تزين لهم عبادة غير الله عز وجل بالركوع والسجود ، فإن لم تفلح تزين لهم عبادة غيره تعالى بالاستغاثة والدعاء والطلب ، فإن لم تفلح تزين لهم الإشراك عن طريق التوكل والإنابة والخشية ، فإن لم تفلح تزين لهم الإشراك والعبودية لغير الله تعالى عن طريق الطاعة والاتباع والانقياد ، فإن لم تفلح زينت لهم العبودية لغير الله تعالى عن طريق التحاكم والتحليل والتحريم ...

وهذا هو المراد من قوله تعالى في الحديث القدسي : " **إني خلقت عبادي حنفاء كلهم و إنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا " رواه مسلم.**

فالتوحيد هو لب الإسلام وأساسه ، ومنه تنبثق سائر نظمه وأحكامه وأوامره ومناهجه : وكل ما فيه من عبادات وأحكام ترسخه وتقويه وتثبته في قلوب المؤمنين .

فكما أن المسلم يعتقد أن لا إله إلا الله ، وأن لا معبود بحق إلا الله وأن لا خالق إلا الله ، وأن لا رازق إلا الله ، وأن لا نافع أو ضار إلا الله ، وأن لا متصرف في شأنه ، وفي شأن الكون كله إلا الله ، فيتوجه لله وحده بالشعائر التعبدية ويتوجه لله وحده بالطلب والرجاء والمحبة، ويتوجه لله وحده بالخشية.

وكذلك يعتقد المسلم أن لا حاكم إلا الله ، وأن لا مشرع إلا الله ، وأن لا منظم لحياة البشر وعلاقاتهم وارتباطاتهم بالكون وبالأحياء وببني الإنسان من جنسه إلا الله ، فيتلقى من الله وحده التوجيه والتشريع ، ومنهج الحياة ونظام المعيشة ، وقواعد الارتباطات ، وميزان القيم والاعتبارات ، سواء .

وبالرغم من وضوح هذه الحقائق في دعوة كل الرسل والأنبياء ، إلا أن التحريفات والانحرافات التي وقعت في تصورات أتباع الرسل ، وإلى جانب طغيان الجاهليات على أتباع الرسالات ، لم تبق في الأرض كلها من تصور ديني صحيح ، إلا التصور الذي جاء به محمد ﷺ وحفظ الله أصوله ، فلم تمتد إليها يد التحريف ولم تطمسها كذلك الجاهليات التي طغت على حياة الناس ، ومن ثم كانت ولا تزال حقائق (التوحيد) هي أبرز خاصية في خصائص هذا الدين .

فأول هذه الأمة لما قاموا بحقائق التوحيد ومقتضياته : علماً ، وعملاً ، واعتقاداً ، وسلوكاً ، أظلتهم الرحمة ، وغشيتهم العافية ، وضمن لهم مولاهم تبارك وتعالى : النصر ، والعلوَّ ، والتمكين ، ولو اجتمع عليهم من بأقطار المعمورة .

ولكن اليوم لما غفل أكثر المنتسبين إلى الإسلام عن : معنى التوحيد وأركانه وشروطه ، وضاع فرقانه بينهم ، واختلطت أعلامه بأعلام ضده ونقيضه من الشرك والإلحاد ، ومن ثم عاد مختزلاً بينهم : تارة في النطق فقط ، وتارة في الاعتقاد دون العمل، وتارة في الانتساب المزيف ، وتارة في إرث موروث بلا بينة ولا برهان ، وتارة في شهادات الميلاد وجوازات السفر ...

لهذا كان لزاماً على دعاة الإسلام الدعوة أولاً إلى تجريد التوحيد والتربية عليه والقضاء على الشرك بكافة صوره وألوانه . فجاء هذا الكتاب على شكل أسئلة وأجوبة ، ليبين أصل الإسلام وهو التوحيد والرسالة وأركانهما وشروطهما ونواقضهما بالأدلة القطعية من القرآن والسنة مع الاستئناس بأقوال العلماء في هذه المسألة . ليعلم الناس وخاصة المنتسبون للإسلام أين هم من الدين الصحيح حتى يعودوا إليه قبل فوات الأوان ، لينجوا من عذاب الله ويستحقوا دخول الجنة التي لا يدخلها إلا كل من حقق التوحيد وأخلص العبادة لله وبرء من كل أنواع الشرك .والله من وراء القصد ،وهو الهادي إلى سواء السبيل .

وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

س1– ما المقصود بأصل الدين والمقصود بأصول الدين ؟

الجواب : إن كلمة " **الأصول** " أو " **الأصل** " تجري عادة في كتب أهل العلم والفقه على ثلاث معانٍ :

الأول : أصل الدين بمعنى التوحيد أو أصل الإسلام .

الثاني : أصول الدين بمعنى الأصول الإعتقادية التي قد تثبت بأحاديث لم تبلغ درجة التواتر والتي تختص غالباً بأمور اعتقادية غيبية مثل عذاب القبر وغيره مما يعتبر من أصول الدين عند أهل السنة والجماعة . ويدخل في هذا القسم أيضاً ما ثبت بأدلة قطعية عند أهل السنة فلم ينكرها غيرهم من الفرق بل سعوا إلى تأويلها وصرفها .

الثالث : أصول الدين بمعنى أصول الفقه أو أصول الشريعة في الدين : أي القواعد القطعية في الشريعة والفقه ، والتي تثبت بالنص أو بالاستقراء .

فكلمة " **الأصل** " أو " **الأصول** " من الألفاظ المشتركة التي تحمل عدة معان كما تبين ، فالخلط بينها يؤدي إلى الخلط بين الأمور التي يعذر فيها الجاهل والأمور التي لا يعذر فيها . فقد قرأ البعض أن من الأصول ما يعذر فيها الجاهل فاعتقد ذلك جارياً حتى على التوحيد ! وهذا غير صحيح سنبينه لاحقاً إن شاء الله .

س2– ما هو أول ما يجب على الإنسان المكلف قبل كل شيء ؟

الجواب : أول ما يجب على المكلف هو أصل الإسلام .

والدليل على ذلك :

1 – قال تعالى : ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ** ﴾ [محمد: 19]

2– عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : " **إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله .** وفي رواية : **إلى أن يوحدوا الله** "[1]

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني : "– ففي رواية روح بن القاسم عنه :– (**فأول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله**...) وفي رواية الفضل بن علاء عنه (**إلى أن يوحدوا الله ، فادا عرفوا ذلك ...**) ويجمع بينهما بأن المراد بعبادة الله :– توحيده . وبتوحيده :– الشهادة له بذلك ولنبيه بالرسالة. ووقعت البداءة بهما

[1] **رواه البخاري ومسلم** .

لأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيء غيرهما إلا بهما. فمن كان منهم غير موحد فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين على التعيين ، ومن كان موحداً فالمطالبة بين الإقرار بالوحدانية والإقرار بالرسالة ، وان كانوا يعتقدون ما يقتضي الإشراك أو يستلزمه كمن يقول :- بنبوة عزير أو يعتقد التشبيه فتكون مطالبتهم بالتوحيد بنفي ما يلزم من عقائدهم .... قوله :- (**فان هم أطاعوا لك بذلك**) أي شهدوا وانقادوا ، وفي رواية ابن خزيمة :- (**فان هم أجابوا لذلك**) وفي رواية الفضل بن العلاء كما تقدم :- (**فإذا عرفوا ذلك**) وعدَّى أطاع باللام وان كان يتعدى بنفسه لتضمنه معنى انقاد . واستدل به على أن أهل الكتاب ليسوا بعارفين وإن كانوا يعبدون الله ويظهرون معرفته ، لكن قال حذاق المتكلمين :- ما عرف الله من شبهه بخلقه أو أضاف إليه اليد أو أضاف إليه الولد ، فمعبودهم الذي عبدوه ليس هو الله وإن سموه به." اهـ [1]

3- عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لعلي بن أبي طالب : (**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً ، خير لك من حُمُرِ النِّعَم**) [2] .

4- وبالإجماع فإن كل رسول أول ما يأمر به قومه التوحيد

﴿ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾

5- وبإجماع السلف أن أول واجب على المكلف هو الشهادتان .

قال ابن عبد البر : " إن بعض الصحابة وذكر أسماءهم سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم مستفهمين عن القدر فلم يكونوا بسؤالهم عن ذلك كافرين ولو كان لا يسعهم جهله **لعلمهم ذلك مع الشهادتين** وأخذه في حين إسلامهم."[3]

قال ابن حزم رحمه الله : " وقال **سائر أهل الإسلام** كل من اعتقد بقلبه اعتقاداً لا يشك فيه وقال بلسانه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن كل ما جاء به حق وبرء من كل دين سوى دين محمد صلى الله عليه وسلم فإنه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك . " [4].

س3- كيف يُعرف أصل الإسلام ؟

الجواب : يعرف أصل الإسلام بالأمور التالية :

1. يُعرف أصل الإسلام باتفاق الأديان عليه .

---

[1] **فتح الباري ج3 ص 418-420 ، كتاب الزكاة.**

[2] **رواه البخاري ومسلم .**

[3] **التمهيد 46/18-47 مختصرا .**

[4] **الفصل 35/4 .**

قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء: 25] وقال تعالى : ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾ [الشورى: 13] وقال نوح ﴿ **فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [يونس: 72] وعن إبراهيم ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [البقرة: 131] ووصى إبراهيم ويعقوب أبناءهما ﴿ **وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [البقرة: 132] وعن موسى ﴿ **وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ** ﴾ [يونس: 84] والحواريون يقولون لعيسى ﴿ **قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: 52]

قال ابن تيمية : " والإسلام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من الأمم كما أخبر الله بنحو ذلك في غير موضع من كتابه فأخبر عن نوح وإبراهيم وإسرائيل عليهم السلام أنهم كانوا مسلمين وكذلك أتباع موسى وعيسى عليهما السلام وغيرهم ، والإسلام هو أن يستسلم لله لا لغيره فيعبد الله ولا يشرك به شيئا ويتوكل عليه وحده ويرجوه ويخافه وحده ويحب الله المحبة التامة لا يحب مخلوقا كحبه لله ... فمن استكبر عن عبادة الله لم يكن مسلما ، ومن عبد مع الله غيره لم يكن مسلما" [1]

2 . ويعرف بأنه أول واجب لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : " **إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله .** وفي رواية : **إلى أن يوحدوا الله** " [2]

3 . وأنه أول ما يطلب من الشخص لحديث :" **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله** ...." [3]

4- ويُعرف أصل الإسلام بما كان أول الإسلام ، قال تعالى :

﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ ۞ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۞ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۞ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** ﴾ [المدثر: 1-5]

5 . وبأنه ما كان في العهد المكي، وأنه ما كان عليه أهل هجرة الحبشة .

قال ابن تيمية : " واتفقت الأنبياء على أنهم لا يأمرون بالفواحش ولا الظلم ولا الشرك ولا القول على الله بغير علم " اهـ [4]

---

[1] **كتاب النبوات ص 127 .**

[2] **رواه البخاري ومسلم.**

[3] **رواه مسلم.**

[4] **كتاب النبوات ص 430 .**

وقال أيضا : "إن المحرمات منها ما يُقطع بأن الشرع لم يُبح منه شيئا لا لضرورة ولا غير ضرورة كالشرك والفواحش والقول على الله بغير علم والظلم المحض ، وهي الأربعة المذكورة في قوله تعالى **﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾** [الأعراف: 33] فهذه الأشياء محرمة في جميع الشرائع وبتحريمها بعث الله جميع الرسل ولم يُبح منها شيئا قط ولا في حال من الأحوال ولهذا أنزلت في هذه السورة المكية " [1]

بل جلس رسول الله يدعو إلى التوحيد في مكة ثلاثة عشرة سنة بإجماع أهل السير وغيرهم . وأيضا كل السور المكية مذكور فيها أصل الإسلام . (التوحيد والرسالة)

6 . وما يُسأل عنه في القبر .

عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "**﴿ يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾** [إبراهيم: 27] **قال نزلت في عذاب القبر فيقال له من ربك فيقول ربي الله ونبي محمد ﷺ** ." [2]

7 . وأنه مما يستحيل ولا يمكن أن يشرعه الله . وما لا يمكن فهذا لم يستفد من الشرع فقط بل هو قبيح فيه وفي الفطرة والعقول ويمتنع أن تأتي به شريعة.

8 . ولا يختلف .

س4– ما هي أقسام الناس حسب أصل الإسلام ؟

الجواب : الناس حسب أصل الإسلام أقسام :

1 . رجل عنده أصل الإسلام ولم يخطئ أو يخالف .

2 . رجل عنده أصل الإسلام لكن أخطأ في غير ذلك .

3 . رجل على غير أصل الإسلام وهو يعرف ذلك .

4 . رجل على غير أصل الإسلام ويظن نفسه على أصل الإسلام .

5 . رجل دخل دخولاً صحيحاً في أصل الإسلام ثم خرج من أصله بردة أو كفر .

س5– من أي شيء يتكون أصل الإسلام ؟

الجواب : أصل الإسلام يتكون من أصلين هما :

الأصل الأول : **التوحيد** (وهو الإتيان بلا إله إلا الله بشروطها)

---

[1] **الفتاوى 14/470-471**.

[2] **رواه البخاري ومسلم** .

الأصل الثاني :الرسالة (وهو الإتيان بشهادة أن محمداً رسول الله بشروطها)

فالإسلام : هو الاستسلام لله بالتوحيد وتصديق الرسول والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله .

س6 – ما هو أصل التوحيد ؟

الجواب : أصل التوحيد : هو معرفة الله عز وجل وعبادته وحده لا شريك له. ويتكون من أمرين : **الإثبات والنفي** :

الإثبات هو : عبادة الله وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه وتكفير من تركه .

والنفي هو : الخلوص من الشرك في عبادة الله ، والتغليظ في ذلك والمعادة فيه وتكفير من فعله .

س7 – كيف يتحقق ركن الإثبات في التوحيد ؟

الجواب : يتحقق ركن الإثبات بما يلي :

أولاً : عبادة الله وحده لا شريك له .

قال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: 64] وقال تعالى : ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ** ﴾ [الإسراء: 23] وقال تعالى إخباراً عن أول دعوة كل رسول أنه كان يقول لقومه : ﴿ **أن اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ﴾

وهذه هي المرتبة الأولى من مراتب الإثبات في التوحيد وهي أعظمها .

ثانياً : التحريض على عبادة الله وحده لا شريك له .

قال تعالى : ﴿ **هَـذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ** ﴾ [إبراهيم: 52] وقال تعالى : ﴿ **هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين** ﴾ [غافر: 65] وقال تعالى : ﴿ **وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلا تَسْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ** ﴾ [القصص: 70-72] وقال تعالى : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاؤُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ [الممتحنة: 4]

فهذه الآيات كلها تدل على **التحريض على التوحيد** .

ولقد ثبت في السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يغشى المناسك وأسواق العرب وتجمعاتهم يدعوهم ويحثهم ويحرضهم على الإسلام وكان يقول لهم : (**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**) .

وهذه هي المرتبة الثانية من مراتب **الإثبات في التوحيد** .

ثالثاً : – الموالاة في التوحيد .

قال تعالى : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْض** ﴾ [التوبة: 71] وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات: 10] وقال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِه إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۞ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [الزخرف: 26-28] والشاهد ظاهر.

وقال ﷺ : (**إن المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضا**) وشبك أصابعه .[1]

وقال ﷺ : (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد . إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**).[2]

والولاء والبراء أصل من أصول الدين .

وهذه هي المرتبة الثالثة ، **وهي مرتبة في أهل التوحيد أن تواليهم وتحبهم وتنصرهم إلى غير ذلك من معاني الولاء** .

رابعاً :– تسمية من ترك التوحيد .

فلا يُسمى من ترك التوحيد مسلماً ، بل يُنفى عنه الإسلام ، ويُنفى عنه التوحيد ويُقال ليس بموحد بل يُسمى التارك للتوحيد عابداً لغير الله متخذاً إلهاً غير الله ، مبتغياً غير الإسلام ، ومتولياً ، وجاعلاً شريكاً لله، وضالاً إلى غير ذلك.

قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران: 85] وقال تعالى : ﴿ **فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ [آل عمران: 20] وقال تعالى :﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَّجُلا فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزمر: 29] وقال تعالى : ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ**

[1] **رواه البخاري ومسلم.**

[2] **رواه مسلم.**

لِلإِسْلاَمِ ﴾ [الأنعام: 125] وقال تعالى : ﴿ **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ** ﴾ [يونس: 32] والأنبياء كانت تقول لأقوامهم ﴿ **اعبدوا الله مالكم من إله غيره** ﴾ .

وقال ابن تيمية رحمه الله : " ولهذا كان كل من لم يعبد الله فلا بد أن يكون عابداً لغيره ... وليس في ابن آدم قسم ثالث بل إما موحد أو مشرك أو من خلط هذا بهذا كالمبدلين من أهل الملل والنصارى ومن أشبههم من الضلال المنتسبين إلى الإسلام " [1]

وقال أيضا : " فمن استكبر عن عبادة الله لم يكن مسلماً ، ومن عبد مع الله غيره لم يكن مسلماً " [2]

قال ابن القيم فيمن لم يعبد الله : "والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاء به ، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافراً معانداً فهو كافر جاهل فغاية هذه الطبقة أنهم كفار جهال غير معاندين وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفاراً ، فإن الكافر من جحد توحيد الله وكذب رسوله إما عناداً أو جهلاً وتقليداً لأهل العناد فهذا وإن كان غايته أنه غير معاند فهو متبع لأهل العناد ، بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر وأن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول هذا في الجملة والتعيين موكول إلى علم الله وحكمه هذا في أحكام **الثواب والعقاب** ، وأما في أحكام الدنيا فهي جارية على ظاهر الأمر فأطفال الكفار ومجانينهم كفار في أحكام الدنيا لهم حكم أوليائهم " اهـ [3]

قال عبد اللطيف ابن الحفيد في شرح كلام ابن القيم السابق : " إن ابن القيم جزم بكفر المقلدين لمشايخهم في المسائل المكفرة إذا تمكنوا من طلب الحق ومعرفته وتأهلوا لذلك وأعرضوا ولم يلتفتوا ومن لم يتمكن ولم يتأهل لمعرفة ما جاءت به الرسل فهو عنده من جنس أهل الفترة وممن لم تبلغه دعوة الرسول لكنه ليس بمسلم حتى عند من لم يكفره . " اهـ [4]

و نقل الأخوان عبد اللطيف وإسحاق ابني عبد الرحمن الحفيد وابن سحمان نقلوا عن ابن القيم **الإجماع** على أن أصحاب الفترات ومن لم تبلغه الدعوة أن كلا النوعين **لا يحكم بإسلامهم** ولا يدخلون في مسمى المسلمين **حتى عند من لم يكفر بعضهم** وأما الشرك فهو يصدق عليهم واسمه يتناولهم ، وأي إسلام يبقى مع مناقضة أصله وقاعدته الكبرى شهادة أن لا إله إلا الله .[5]

---

[1] **الفتاوى 284,282/14** .

[2] **كتاب النبوات ص 127** .

[3] **مختصراً من طريق الهجرتين ، الطبقة 17** .

[4] **فتاوى الأئمة النجدية 231/3** .

[5] **انظر فتاوى الأئمة النجدية 3| 94**.

وقال ابنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحمد بن ناصر آل معمر " إذا كان يعمل بالكفر والشرك **لجهله أو عدم من ينبهه** لا نحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة ولكن **لا نحكم بأنه مسلم** " [1]

وقال أبا بطين فيمن قال إنكم تكفرون المسلمين (وحقيقته أنه يعبد غير الله) : " إن القائل ما عرف الإسلام ولا التوحيد والظاهر عدم صحة إسلام هذا القائل لأنه لم ينكر هذه الأمور التي يفعلها المشركون اليوم ولا يراها شيئاً فليس بمسلم " اهـ [2]

ونقل عبد اللطيف ابن الحفيد الإجماع على أن من أتى بالشهادتين لكن يعمل الشرك الأكبر أنه لم يدخل في الإسلام . **اهـ** [3]

خامساً : تكفير من ترك التوحيد .

وهذه والتي قبلها هي المرتبة الرابعة من مراتب الإثبات في المخالفين لأهل التوحيد ، وهي شعبتان : الأولى وهي أعظم وهي نفي الإسلام عنه ، والثانية وهي إلحاق اسم الوعيد عليه وهو التكفير والردة ونحو ذلك .

ومقتضى هذه المرتبة عموماً : نفي الإسلام عمن ترك التوحيد وفَعَل الشرك وتكفيره . فلا يُسمى مسلماً قبله ولا إذا لم يأت به ولا إذا استصحب ضده أو جاء بناقضه . قال تعالى : ﴿ **قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۞ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ** ﴾ [الأحقاف: 5-6] وقال تعالى: ﴿ **وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ** ﴾ [الزمر: 8] وقال تعالى : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاؤُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ [الممتحنة: **4**]

فمن ترك التوحيد فعل الشرك ، ومن فعل الشرك فقد ترك التوحيد . لأنهما ضدان لا يجتمعان ولا يرتفعان.

قال ابن القيم في الهدي 203/4 : " إذا لم يقم الإيمان بالقلب حصل ضده وهو الكفر وهذا كالعلم والجهل إذا فقد العلم حصل الجهل وكذلك كل نقيضين زال أحدهما خلفه الآخر ." اهـ

ولتوضيح هذه المرتبة عملياً نضرب مثالاً فيما يحصل في عصرنا الحاضر :

فمن قبل العلمانية أو الشيوعية أو القومية العرقية أو الوطنية المعاصرة أو البعثية أو الرأسمالية أو الديمقراطية أو القوانين الوضعية أو البرلمانات التشريعية أو العولمة الكفرية فقد ترك التوحيد . لهذا فلا بد من نفي التوحيد والإسلام عنه وتسميته بالكافر .

---

[1] **الدرر السنية 136/10**.

[2] **مجموعة الرسائل ج1/ القسم 3/ص 655 .**

[3] **المنهاج ص 10 . وفتاوى الأئمة النجدية 3 /93 .**

س8 – كيف يتحقق الركن الثاني في التوحيد وهو النفي ؟

الجواب : يتحقق الركن الثاني في التوحيد وهو النفي بما يلي :

أولاً : الخلوص والترك للشرك في عبادة الله والتحذير منه .

وهذه هي المرتبة الأولى من مراتب النفي في الشرك وهي أعظمها .

قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: 36] وقال تعالى: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَيْؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ** ﴾ [البقرة: 256] وقال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء: 25] وقال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ** ﴾ [الرعد: 36] وقال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا** ﴾ [الجن: 20] وقال تعالى : ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْس لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ [لقمان: 15] وقال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلا تَعْبُدُوا إلا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [الأحقاف: 21] وقال تعالى : ﴿ **فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ** ﴾ [الذاريات: 50–51]

وفي الحديث : (**اجتنبوا السبع الموبقات**) فذكر منها الشرك وهو أولها. **متفق عليه**

وعن أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ :

(من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه) رواه مسلم

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً :

" أي الذنب أعظم ؟ **قال** : (**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**) " **متفق عليه**

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

" إن النطق بها من غير معرفة معناها ولا عمل بمقتضاها من التزام التوحيد وترك الشرك والكفر بالطاغوت فإن ذلك غير نافع **بالإجماع** " [1]

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

" **أجمع العلماء سلفاً وخلفاً من الصحابة والتابعين والأئمة وجميع أهل السنة** أن المرء لا يكون مسلماً إلا بالتجرد من الشرك الأكبر والبراءة منه " [2]

---

[1] **تيسير العزيز الحميد ص 53**.

[2] الدرر السنية **11/545– 546** .

ونقل القاضي عياض في الشفاء في فصل ما هو من المقالات كفر : " على أن كل مقالة نفت الوحدانية أو صرحت بعبادة أحد غير الله أو مع الله فهي كفر **بإجماع المسلمين** "اهـ

وقال محمد بن عبد الوهاب عن القرامطة :" إنهم أظهروا شرائع الإسلام وإقامة الجمعة والجماعة ونصبوا القضاة والمفتين لكن أظهروا الشرك ومخالفة الشريعة **فأجمع أهل العلم** على أنهم كفار ." **(مختصرا من السيرة له)**

ولتوضيح هذه المرتبة عملياً نضرب مثالاً فيما يحصل في عصرنا الحاضر :

تقتضي هذه المرتبة ترك العلمانية والتحذير منها وترك الشيوعية والتحذير منها وترك القومية والتحذير منها وترك الوطنية المعاصرة والتحذير منها وترك البعثية والتحذير منها وترك الرأسمالية والتحذير منها وترك الديمقراطية والتحذير منها والمحاكم القانونية التي تحكم بالقوانين الوضعية والعولمة الكفرية والبرلمانيين المشرعين وغير ذلك من الأديان أو المذاهب المعاصرة كالحداثة فيترك ذلك كله ويحذر منه .

ثانياً :- التغليظ في الشرك .

وهذه هي المرتبة الثانية من مراتب النفي في الشرك .

قال تعالى :- ﴿**فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التوبة: 5] وقال تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [الأنفال: 39] وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [التوبة: 123] وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِم وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ [التوبة: 73]

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً :

" أي الذنب أعظم قال : (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) " متفق عليه

ولولا التغليظ لما جرى على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما جرى من الأذى العظيم كما هو مذكور في السير مفصلاً فإنه بدأهم بسب دينهم وعيب آلهتهم .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : " إن الله أمر بقتل المشركين وحصرهم والقعود لهم كل مرصد إلى أن يتوبوا من الشرك ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وقد أجمع العلماء على هذا الحكم من كل مذهب ." [1]

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : "من قال لكن لا أتعرض للمشركين ولا أقول فيهم شيئاً لا تظن أن ذلك يحصل لك به الدخول في الإسلام بل لابد من بغضهم وبغض من يحبهم ومسبتهم ومعاداتهم ، ثم ذكر آية ﴿ **إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا**

[1] **فتاوى الأئمة النجدية 472/2** .

حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ . ولو يقول رجل أنا أتبع النبي صلى الله عليه وسلم وهو على الحق لكن لا أتعرض أبا جهل وأمثاله ما عليّ منهم لم يصح إسلامه " اهـ [1]

ولتوضيح هذه المرتبة عملياً نضرب مثالاً فيما يحصل في عصرنا الحاضر :

تقتضي هذه المرتبة ، التغليظ على من نهج العلمانية أو الشيوعية أو القومية أو الوطنية المعاصرة أو البعثية أو الرأسمالية أو الديمقراطية أو القوانين الوضعية أو العولمة الكفرية والبرلمانيين المشرعين وغير ذلك من الأديان أو المذاهب المعاصرة . ومن التغليظ في ذلك التضليل والعيب والتقبيح والسب والشتم للعلمانية وما عُطف عليها .

ثالثاً :– المعادة في الشرك .

وهذه هي المرتبة الثالثة من مراتب النفي في الشرك ، وهي مرتبة في أهل الشرك أن تعاديهم وتبغضهم وتهجرهم وتتباعد عنهم إلى غير ذلك من معاني البراء .

قال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام : **﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾** [مريم: 48] وقال تعالى : **﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاؤُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾** [الممتحنة: 4] وقال تعالى: **﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [المجادلة: 22] وقال تعالى : **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾** [النحل: 36] وقال تعالى : **﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾** [البقرة: 256]

قال حسين وعبد الله ابنا محمد بن عبد الوهاب قالا :" فمن قال لا أعادي المشركين أو عاداهم ولم يكفرهم أو قال لا أتعرض أهل لا إله إلا الله ولو فعلوا الكفر والشرك وعادوا دين الله أو قال لا أتعرض للقباب فهذا لا يكون مسلما بل هو ممن قال الله فيهم **﴿وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ۞ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ..﴾** [النساء: 150-151] والله أوجب معاداة المشركين ومنابذتهم وتكفيرهم **﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ ﴾** وقال تعالى **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ ..﴾** [الممتحنة: 1] .[2]

---

[1] الدرر **109/2** .

[2] الدرر السنية **140.139/10** .

قال ابن تيمية على قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ قال فدل أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب " [1]

وقال ابن القيم : "الولاية تنافي البراءة فلا تجتمع البراءة والولاية أبدا" [2]

وقال ابن تيمية : " ويوسف عليه السلام دعا أهل مصر لكن بغير معاداة لمن لم يؤمن ، ولا إظهار مناوأة بالذم والعيب والطعن لما هم عليه كما كان نبينا أول ما أنزل عليه الوحي وكانت قريش إذ ذاك تقره ولا ينكر عليه إلى أن أظهر عيب آلهتهم ودينهم وعيب ما كانت عليه آباؤهم وسفه أحلامهم فهنالك عادوه وآذوه . وكان ذلك جهاداً باللسان قبل أن يؤمر بجهاد اليد قال تعالى ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ، فَلا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: 51] . وكذلك موسى مع فرعون أمره أن يؤمن بالله وأن يرسل معه بني إسرائيل وإن كره ذلك وجاهد فرعون بإلزامه بذلك بالآيات التي كان الله يعاقبهم بها إلى أن أهلكه الله وقومه على يديه " اهـ [3]

ولتوضيح هذه المرتبة عملياً نضرب مثالاً فيما يحصل في عصرنا الحاضر :

تقتضي هذه المرتبة معاداة العلمانية أو الشيوعية أو القومية أو الوطنية المعاصرة أو البعثية أو الرأسمالية أو الديمقراطية والمحاكم القانونية التي تحكم بالقوانين الوضعية والبرلمانيين المشرعين أو العولمة الكفرية أو المذاهب المعاصرة ، وتعادي أهلها .

رابعاً : – تكفير من فعل الشرك .

وهذه هي المرتبة الرابعة من مراتب النفي في المخالفين وهي تكفير من فعل الشرك وتسميته مشركاً ، ومقتضاها إثبات الشرك له وتكفيره .

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ [الزمر: 8] وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاؤُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة: 4]

---

[1] الفتاوى 17/7 .

[2] أحكام أهل الذمة ، 242/1 .

[3] كتاب النبوات، ص 319 .

وفي الحديث (**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله تعالى**). **رواه مسلم**

قال إسحاق بن راهويه : " وقد أجمع العلماء أن من دفع شيئاً أنزله الله وهو مقر بما أنزل الله أنه كافر ." [1]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن القرامطة : " إنهم أظهروا شرائع الإسلام وإقامة الجمعة والجماعة ونصبوا القضاة والمفتين لكن أظهروا الشرك ومخالفة الشريعة فأجمع أهل العلم على أنهم كفار ." [2]

وقال عبد الرحمن آل الشيخ : " لو عرف العبد معنى لا إله إلا الله لعرف أن من شك أو تردد في كفر من أشرك مع الله غيره أنه لم يكفر بالطاغوت " [3]

س9- ما هي أقسام المخالفين في أصل التوحيد ؟

الجواب : أقسام المخالفين في أصل التوحيد هم :

1. المخالف في الإثبات .

وهو من لم يعبد الله وحده لا شريك له ، ولم يوالي ويعادي فيه ولم يكفِّر من ترك عبادته .

2. المخالف في النفي .

وهو من أشرك في عبادة الله ولم يُكفِّر من أشرك بالله ولم يعاديه .

3. المخالف فيهما .

وهو الذي عمل بالشرك وأنكر التوحيد وعاداه .

ومثاله : من قَبِل ووافق على العلمانية أو الشيوعية أو القومية أو الوطنية المعاصرة أو البعثية أو الرأسمالية أو الديمقراطية **والبرلمان التشريعي** أو العولمة الكفرية وأنكر التوحيد واعتقده باطلا .

4. المتوقفة فيهما أو في أحدهما أو أهلهما .

وهو : من توقف في الإثبات بقسميه أو النفي بقسميه أو في شرط من شروط لا إله إلا الله .

س10- ما حُكم من عبد الله وحده ولكن لم ينكر الشرك ؟

الجواب :- من لم ينكر الشرك لم يعرف التوحيد ولم يأت به وقد عرفت أن التوحيد لا يحصل إلا بنفي الشرك والكفر بالطاغوت .قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: 36] وقال تعالى : ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى** ﴾ [البقرة: 256]

---

[1] **التمهيد 226/4، الصارم ص 451,**

[2] **مختصرا من السيرة له .**

[3] **الدرر السنية 523/11 .**

س11 – ما حُكم من عبد الله وحده وأنكر الشرك وأهله ولكن لم يبغضهم ولم يعادهم ولم يكفرهم ؟

الجواب :– هذا النوع أشد الأنواع خطراً لأنه لم يعرف قدر ما عمل به من التوحيد ولم يجئ بما يصحح توحيده من القيود الثقال التي لابد منها ، فالتوحيد يقتضي نفي الشرك والبراءة منه ومعاداة أهله وتكفيرهم .

قال تعالى : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاؤُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ [الممتحنة: 4] وقال تعالى : ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [المجادلة: 22] وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ** ﴾ [الممتحنة: 1]

س12– ما حكم من عبد الله وحده وأنكر الشرك والعلمانية والشيوعية والقومية والوطنية المعاصرة والبعثية والرأسمالية والديمقراطية والقوانين الوضعية والعولمة الكفرية والبرلمانيين المشرعين وغير ذلك من الأديان أو المذاهب المعاصرة ولكنه لم يبغضهم ولم يعادهم ولم يكفرهم ؟

الجواب :– هذا لم يدخل الإسلام فهو مِن نوع مَن أتى بالإثبات وأتى ببعض النفي وترك بعضه . فهذا من أشد الأنواع خطراً لأنه لم يعرف قدر ما عمل به من التوحيد ولم يجئ بما يصحح توحيده من القيود الثقال التي لابد منها ، فالتوحيد يقتضي نفي الشرك والبراءة منه ومعاداة أهله وتكفيرهم .

قال تعالى : ﴿ **قَدْكَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاؤُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ [الممتحنة: 4] وقال تعالى : ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [المجادلة: 22] وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ** ﴾ [الممتحنة: 1]

س13- ما حكم من عبد الله وحده وأنكر الشرك وأهله وأبغضهم ولكن لم يعادهم ولم يكفرهم ؟

الجواب :- وهذا لم يدخل الإسلام فهو أيضاً مِن نوع مَن أتى بالإثبات وأتى ببعض النفي وترك بعضه ، فهو من المبعضة في النفي .

فهذا لم يعمل بما دلت عليه آية **﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِه إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾** [الزخرف: 26-28] وآية **﴿ إِنَّا بُرَءاؤُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾** [الممتحنة: 4]

فلا بد لمن عرف الشرك وتركه من أن يكون كذلك من الولاء والبراء من العابد والمعبود وبغض الشرك وأهله وعداوتهم وتكفيرهم .

س14- ما حُكم من عبد الله وحده وأنكر الشرك وأهله وعاداهم وأبغضهم ولكن لم يُكفرهم ؟

الجواب :- وهذا لم يدخل الإسلام فهو أيضاً مِن نوع مَن أتى بالإثبات وأتى ببعض النفي وترك بعضه ، فهو أيضاً من المبعضة في النفي .

فهذا لم يأت بما دلت عليه لا إله إلا الله من نفي الشرك وما تقتضيه من تكفير من فعله وهو مضمون سورة الإخلاص و **﴿قل يا أيها الكافرون ﴾** وقوله في آية الممتحنة **﴿ كفرنا بكم ﴾**

ولقد كفَّر الله أهل الشرك ووصفهم به في الآيات المحكمات بقوله **﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ﴾** [التوبة: 17]

ومن لم يكفِّر من كفَّره القرآن فقد خالف ما جاءت به الرسل من التوحيد وما يُوجبه .

ولتوضيح هذه المسألة عملياً نضرب مثالاً فيما يحصل في عصرنا الحاضر :

من عبد الله وحده وأنكر العلمانية أو الشيوعية أو القومية أو البعثية أو الرأسمالية أو الديمقراطية **والبرلمانات** أو النظام العالمي الكفري الجديد أو القوانين الوضعية وغير ذلك من الأديان أو المذاهب المعاصرة الكفرية . وعادى أهلها ، فعادى العلمانيين أو الشيوعيين أو القوميين أو البعثيين أو الرأسماليين أو الديمقراطيين **والبرلمانيين المشرعين** أو أهل النظام العالمي الكفري الجديد أو القانونيين ، كل أولئك عاداهم ولكن لم يكفرهم، فقال لا أكفر العلمانيين ولا أكفر الشيوعيين ولا أكفر القوميين ولا أكفر البعثيين ولا أكفر الرأسماليين ولا أكفر الديمقراطيين أو أهل النظام العالمي الكفري الجديد ولا أكفر القانونيين . فهذا مِن نوع مَن أتى بالإثبات وأتى ببعض النفي وترك بعضه ، فهو أيضاً من المبعضة في النفي . فهذا لم يأت بما دلت عليه لا إله إلا الله من نفي

الشرك وما تقتضيه من تكفير من فعله وهو مضمون سورة الإخلاص و ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ وقوله في آية الممتحنة ﴿**كفرنا بكم** ﴾ فهذا لا يكون مسلماً بل هو ممن قال الله فيهم :

﴿وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُون أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ۞ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء: 150-151]

س15- ما حكم من لم يحب التوحيد ولم يبغضه ؟

الجواب :- إن من لم يحب التوحيد لم يكن موحداً ، لأنه هو الدين الذي رضيه الله لعباده كما قال تعالى ﴿ **وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** ﴾ [المائدة: 3] فلو رضي بما رضي به الله وعمل به لأحبه ولا بد من المحبة لعدم حصول الإسلام بدونها فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد . وهنا توقف في شرط وهو من المتوقفة وليس بمسلم.

س16- ما حكم من لم يبغض الشرك ولم يحبه ؟

الجواب :- ليس بمسلم ، لأن من لم يبغض الشرك ولم يحبه لم ينف ما نفته لا إله إلا الله من الشرك والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه فهذا ليس من الإسلام في شيء أصلاً ولم يعصم دمه ولا ماله كما دل عليه حديث (**من قال لا اله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله تعالى**) [1].

ومثال هذا في العصر الحاضر : من لم يحب العلمانية ولم يبغضها ولم يحب الشيوعية ولم يبغضها ولم يحب القومية ولم يبغضها ولم يحب البعثية ولم يبغضها ولم يحب الرأسمالية ولم يبغضها ولم يحب الديمقراطية والبرلمانات ولم يبغضها ولم يحب النظام العالمي الكفري الجديد ولم يبغضه ولم يحب القوانين الوضعية ولم يبغضها ، مع علمه بهذه الأشياء . فهذا من المتوقفة وليس بمسلم .

س17- ما حكم من لم يعرف الشرك ولم ينكره ولم ينفه ؟

الجواب :- لا يكون موحداً إلا من نفى الشرك وتبرأ منه وممن فعله وكفَّرهم ، وبالجهل بالشرك لا يحصل شئ مما دلت عليه لا إله إلا الله ، ومن لم يقم بمعنى هذه الكلمة ومضمونها فليس من الإسلام في شيء لأنه لم يأت بهذه الكلمة ومضمونها من علم ويقين وصدق وإخلاص ومحبة وقبول وانقياد ، وهذا النوع ليس معه من ذلك شيء ، وإن قال لا إله إلا الله فهو لا يعرف ما دلت عليه وما تضمنته .

---

[1] **رواه مسلم.**

س18- ما حُكم من لم يعرف التوحيد ولم ينكره ؟

الجواب :- هذا كالذي قبله لم يرفع رأساً بما خلقوا له من الدين الذي بعث الله به رسله ، وهذه الحال حال من قال الله فيهم **﴿إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا ﴾** [الفرقان: 44]

قال ابن تيمية : " فاسم المشرك ثبت قبل الرسالة فإنه يشرك بربه ويعدل به ويجعل معه آلهة أخرى ، ويجعل له أنداداً قبل الرسول ..." [1] .

س19- ما هو الذي ضد التوحيد والذي يبطله ؟

الجواب :- الذي ضد التوحيد والذي يبطله هو :

1. الشرك الأكبر بأنواعه .
2. الكفر الأكبر بأنواعه .
3. النفاق الأكبر .

س20- ما هو الشرك الأكبر وما هي أنواعه ؟

الجواب :-

الشرك :-هو عدم إفراد الله جل جلاله بالنسك أو الشعائر التعبدية وكذلك عدم إفراده بالحكم والتشريع وكذلك عدم إفراده بالولاية والحب .

قال تعالى : **﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾** [الذاريات: 56] وقال تعالى : **﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾** [التوبة: 31] وقال تعالى : **﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾** [العنكبوت: 65] وقال تعالى **:﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾** [الأنعام: 162-163] وقال تعالى : **﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾** [التوبة: 31] وقال تعالى : **﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾** [يوسف: 40] وقال تعالى : **﴿ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾** [الكهف: 26] وقال تعالى : **﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ﴾** [يوسف: 40] وقال تعالى : **﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾** [يوسف: 67] وقال تعالى : **﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾** [الشورى: 10] وقال تعالى : **﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾** [قصص: 88] وقال تعالى : **﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾**

---

[1] **مجموع الفتاوى ج20 ص37-38**

[المائدة: 50] وقال تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلا ﴾ [الأنعام: 114] وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة: 165] وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 64] وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا ﴾ [النساء: 60]

س 21- كيف يكون الشرك في الحب والموالاة ؟

الجواب :- من كانت موالاته ومعاداته ، وحبه وكرهه لله تعالى وفي الله ، بحيث يحب ما يحبه الله ، ويكره ما يكرهه الله ، ويوالي من يوالي الله ورسوله ، ويعادي من يعادي الله ورسوله ، ويرضى ما يُرضي الله ، ويبغض ما يبغض الله تعالى ، فهو حينئذ يكون عبداً لله تعالى وحده ، قد صح إيمانه ، ومن كان مناط حبه وكرهه ، وموالاته ومعاداته غير الله تعالى ، فهو عبد لهذا الغير - مهما اختلفت وتعددت صوره وأشكاله - وداخل في عبادته وتقديسه أقر له بذلك أم لم يقر .

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : (**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان**) [1].

وقال ﷺ : (**أوثق عرى الإيمان : الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله عز وجل**) [2].

وكون ذلك أوثق عرى الإيمان ، فهو لتحقق كمال العبودية وأعلى مراتبها ودرجاتها ، وبالتالي فمن أعطى ذلك لغير الله تعالى فقد تحققت عبوديته لهذا الغير بأعلى مراتب العبودية ودرجاتها .

فلا يحب لذاته إلا الله تعالى ، وما سواه يحب له سبحانه وتعالى وليس معه، وأيما مخلوق -أياً كانت صورته [3] - يُحَب لذاته أو مع الله ، بحيث يُعقد عليه الولاء والبراء فيما أصاب وفيما لم يصب ، وفي الحق والباطل ، فقد اتُخذ نداً وعُبد من دون الله .

قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾ [**البقرة: 165**]

---

[1] رواه أبو داود وغيره بسند صحيح.

[2] رواه أحمد وغيره بسند صحيح .

[3] سواء كان بشراً أم أمراً مادياً كالتراب والوطن، أو معنوياً كالمناهج والدساتير والأحزاب في بعض صورها .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : " فالله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته ، الجامعة لكمال محبته ، مع الخضوع له والانقياد لأمره .

فأصل العبادة : محبة الله ، بل إفراده بالمحبة ، وأن يكون الحب كله لله ، فلا يحب معه سواه ، وإنما يحب لأجله وفيه ،كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه ، فمحبتنا لهم من تمام محبته ، وليست محبة معه كمحبة من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحبه" [1].

قال تعالى عن المجرمين وهم في سقر : ﴿ **قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الشعراء: **96-98**]

قال ابن القيم رحمه الله في هذه الآية :" ومعلوم أنهم ما سووهم به – سبحانه – في الخلق ، والرزق ، والإماتة والإحياء ، والملك والقدرة ، وإنما سووهم به في الحب والتأله والخضوع لهم والتذلل ، وهذا غاية الجهل والظلم، فكيف يسوى التراب برب الأرباب ؟! وكيف يسوى العبيد بمالك الرقاب ؟!

وقال : " وهذه التسوية لم تكن منهم في الأفعال والصفات ، بحيث اعتقدوا أنها مساوية لله سبحانه في أفعاله وصفاته وإنما كانت تسوية منهم بين الله وبينها في المحبة والعبودية والتعظيم . .

ولم تكن تسويتهم لهم بالله في كونهم خلقوا السماوات والأرض أو خلقوهم أو خلقوا آباءهم ، وإنما سووهم برب العالمين في الحب لهم كما يحب الله فإن حقيقة العبادة هي الحب والذل . " [2]

س22- ما هي خصائص إلهية الله تعالى التي لا يجوز لأحد من خلقه أن يشركه فيها ؟

الجواب :- من خصائص إلهية الله تعالى :

أولا – أن الحكم لله تعالى وحده ، فله الخلق والأمر .

قال تعالى : ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأعراف: 54] قال تعالى : ﴿ **إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ** ﴾ [الأنعام: 57] وقال تعالى : ﴿ **إِنْ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ** ﴾ [يوسف: 40] وقال تعالى : ﴿ **أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ** ﴾ [الأنعام: 62] وقال تعالى : ﴿ **وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا** ﴾ [الكهف: 26] وغيرها كثير من الآيات التي تدل على هذا المعنى .

وبالتالي فإن من يدعي من الخلق – وما أكثرهم في زماننا – هذه الخاصية لنفسه ، خاصية الحكم التي هي وقف لله تعالى ، فقد ادعى الإلهية لنفسه ، ومن أقر له بهذه الخاصية فقد أقر له بالإلهية ، وتألهه من دون الله تعالى .

---

[1] **مدارج السالكين : 99/1.**

[2] **بدائع التفسير لابن القيم : 328/3-329.**

ثانياً– خاصية التشريع ، والتحليل والتحريم ، والتحسين والتقبيح .

حيث يعتبر ذلك من أخص خصائص الإلهية التي تفرد الله سبحانه وتعالى بها . وبالتالي فإن من يدعي من الخلق – وما أكثرهم في زماننا – هذه الخاصية لنفسه ، خاصية التشريع والتحليل والتحريم ، فقد ادعى الإلهية وجعل من نفسه نداً لله تعالى ، ومن أقر له بهذه الخاصية أو تابعه عليها فقد أقر له بالإلهية ورضيها له ، وتألهه من دون الله تعالى .

قال تعالى : **﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾** [التوبة: 31] وقال تعالى : **﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾** [الشورى: 21] وقال تعالى : **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلالا قُلْ ءآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾** [يونس: 59] وقال تعالى : **﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمْ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾** [النحل: 116]

وقد روي أن أعرابياً من بني تميم قال للنبي ﷺ : إن حمدي زين ، وذمي شين ! فقال له رسول الله ﷺ : " **ذاك الله** " [1].

أي ليس ذلك من خصوصياتك ولا من خصوصيات البشر كلهم ولو اجتمعوا في صعيد واحد ، وإنما هو من خصوصيات الله تعالى وحده . فإن ما تطلق عليه حكم الزين والتحسين قد يكون عند الله شين وقبيح ، وما تطلق عليه حكم الشين قد يكون عند الله زيناً وحسناً ، فالحكم على الأشياء لله تعالى وحده وليس لأحد من خلقه .

ثالثا– من خصائص الإلهية كذلك أن الله تعالى يحكم ما يريد من غير أن يعقب عليه أحد أو يقدم بين يديه بقول أو فهم أو اعتراض ، فله تعالى الأمر، وعلى رسولنا البلاغ ، وعلينا الرضى والتسليم .

قال تعالى : **﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾** [المائدة: 1] وقال تعالى : **﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** [الرعد: 41] وقال تعالى : **﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾** [الأحزاب: 36] وقال تعالى : **﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا [2] بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**

---

[1] **رواه أحمد والطبراني ورواه الترمذي وقال حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيب.**

[2] **التقديم بين يدي النبي ﷺ هو تقديم بين يدي الله تعالى، لأن النبي ﷺ يبلغ عن ربه ولا ينطق إلا بحق ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾، وصفة التقديم على النبي بعد وفاته ﷺ تكون برد سنته الثابتة الصحيحة بأقوال الرجال وأفهامهم ، وسوالف أهل البادية وعاداتهم وقوانينهم وغير ذلك.**

﴾ [الحجرات: 1] وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: 51] وغيرها كثير من الآيات التي تدل على هذا المعنى .

وبالتالي فإن من يدعي هذه الخاصية لنفسه ، فيقول : أنا أحكم ما أريد من غير معقب ، وأنا فوق أن يقدم بين يدي بقول أو فهم أو اعتراض ، فقد ادعى الإلهية وجعل من نفسه ندا لله تعالى ، ومثله مثل فرعون عندما قال :

﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: 29]

وكذلك فمن يقر له بهذه الخاصية لا شك فإنه يكون قد أقر له بالإلهية ، واتخذه إلها معبوداً من دون الله تعالى . وكذلك من ادعى لنفسه حق التعقيب على حكم الله ورسوله كما يحدث اليوم في البرلمانات الديمقراطية الكافرة فقد كفر بالله العظيم .

رابعا– ومن خصائص الإلهية التي تفرد الله تعالى بها ، أنه تعالى لا يُسأل عما يفعل وما سواه فإنه يُسأل .

قال تعالى : ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: 23]

وبالتالي فإن من يدعي هذه الخاصية لنفسه ، حيث يقول : إنه لا يُسأل عما يفعل أو أنه فوق المساءلة ، فقد ادعى الإلهية لنفسه وجعل من نفسه نداً ومثيلاً لله تعالى ، والله تعالى يقول : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: 11]

وكذلك فإن من يقر له بهذه الخاصية فقد رضي له الإلهية وأن يكون له معبوداً من دون الله تعالى .

خامسا– ومن خصائصه تعالى أنه المحبوب لذاته ، وماسواه فيحب له سبحانه وتعالى .

وبالتالي فإن أي مخلوق يدعي هذه الخاصية لنفسه ، وأن له الحق في أن يُحب لذاته ، بحيث يُوالى ويعادى عليه ، فقد ادعى الإلهية وجعل من نفسه مثيلا ونداً لله تعالى . وأيما مخلوق يقر له بهذه الخاصية فقد اتخذه إلهاً، ورضي أن يكون معبوده من دون الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ "[1] .

سادسا– وكذلك من خصائصه سبحانه وتعالى أنه المطاع لذاته ، وما سواه يُطاع له وفيه ، حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

[1] الفتاوى : **267/10**.

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: 60] ، عبادة الشيطان هنا بطاعته في معصية الله ، زين لهم الشرك فأطاعوه ، فتلك كانت عبادتهم إياه [1].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ [محمد: 25-26] وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: 121]

فمن يدعي الطاعة لذاته فإنه يدعي خاصية هي من خصائص الله تعالى وحده ، ومن يعترف له بذلك فإنه يعترف له بالإلهية والندية لله تعالى .

سابعا– ومن خصائصه سبحانه وتعالى أنه النافع الضار ، بيده وحده الضر والنفع ، وهو يُجير ولا يجار عليه .

قال تعالى: ﴿ وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنْ الظَّالِمِينَ، وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس: 106-107] وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: 71] وقال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: 18] وقال تعالى : ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا﴾ [الرعد: 16] وقال تعالى : ﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: 188] وغيرها كثير من الآيات التي تدل على هذا المعنى .

وفي الحديث ، عن ابن عباس قال : كنت خلف النبي ﷺ ، فقال :

"يا فتى ألا أهب لك ، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، وإذا سألت فاسأل الله ،واعلم بأن الخلائق لو أرادوك بشيء لم يردك الله به لم يقدروا عليه ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا " [2].

س 23– ما هو الكفر الأكبر وما هي أنواعه ؟

الجواب :– الكفر هو جحد توحيد الله وتكذيب رسوله إما عناداً أو جهلاً أو تقليداً .

---

[1] **انظر تفسير الطبري ، وزاد المسير.**

[2] **رواه ابن أبي عاصم في السنة بسند صحيح.**

وأنواع الكفر الأكبر هي :

1- كفر الجهل :

والجهل بالحق نوعان :

أ- الجهل البسيط : وهو عدم السماع بالأمر ابتداء ، مثل حال بعض أهل الفترات ومن لم تبلغهم الدعوة.

يقول الله تعالى : **﴿إِنّ الّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾** [البقرة: 6]

فهذه الآية الكريمة تبين أن هناك أقواما أثبت الله لهم الكفر قبل الرسالة وإقامة الحجة عليهم ، فمنهم من يؤمن بعد إقامة الحجة عليه ، ومنهم من يستمر على كفره .

ب – الجهل المركب : وهو اعتقاد الأمر على غير ما هو عليه. مثل حال كثير من النصارى الذين آمنوا بعيسى عليه السلام ثم ضلوا من بعده وفسدت عقائدهم وتصوراتهم ، ومثل من يشبههم من المنتسبين إلى الإسلام من عبدة الطاغوت وعبدة النجوم ، وأصحاب نظريات وحدة الوجود والحلول والاتحاد ، وعباد الأضرحة والأولياء والمشايخ، ونحوهم من أصحاب العقائد الفاسدة .

يقول ابن تيمية : " قال النبي ﷺ : " **اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون**" (رواه الترمذي بلفظ ضلال) ، لأن اليهود يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم ولا يتبعونه ، لما فيهم من الكبر والحسد الذي يوجب بغض الحق ومعاداته. والنصارى لهم عبادة وفي قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ، لكن بلا علم ، فهم ضلال . هؤلاء لهم معرفة بلا قصد صحيح ، وهؤلاء لهم قصد في الخير بلا معرفة له ، وينضم إلى ذلك الظن واتباع الهوى ، فلا يبقى في الحقيقة معرفة نافعة ولا قصد نافع ." اهـ[1]

2-كفر التكذيب .

قال تعالى : **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنْ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذّبَ بِالْحَقّ لَمّا جَآءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنّمَ مَثْوًى لّلْكَافِرِينَ﴾** [العنكبوت: 68]

والتكذيب نوعان :

أ- التكذيب بالمخبر :- وهو أن يسمع الإنسان خبر الرسول ﷺ وما جاء به عن ربه ، فيكذبه في رسالته ويرد خبره ، كالذين اعتقدوا كذب الرسل بقلوبهم .

---

[1] **الإيمان الأوسط ، ص 70-71.**

يقول ابن القيم : " فأما كفر التكذيب : فهو اعتقاد كذب الرسل . وهذا القسم قليل في الكفار ، فان الله تعالى أيد رسله وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة وأزال به المعذرة " اهـ[1]

ب- التكذيب بالخبر : وهو أن يكذب الإنسان خبراً معلوماً بالضرورة من دين الإسلام . فلا يحكم بإيمان إنسان لا يقر بفرضية الصلاة أو الزكاة أو الحج أو الصيام، وان أظهر الإقرار بالشهادتين . أو لا يعترف بحرمة الزنا أو القتل أو الخمر أو السرقة أو الربا أو غير ذلك من أحكام الإسلام التي أخبر بها الله ورسوله ﷺ وعلمت من الدين بالضرورة .

والمقصود من المعلوم من الدين بالضرورة : هو علم العامة. أي العلم الذي يعلمه كافة المسلمين من غير استثناء ، لا ينفرد به خاصتهم ولا يعذر بالجهل به عامتهم .

3-كفر الإعراض .

قال تعالى :- ﴿ **مَا خَلَقْنَا السّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاّ بِالْحَقّ وَأَجَلٍ مّسَمّى وَالّذِينَ كَفَرُواْ عَمّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ** ﴾ [الأحقاف: 3]

يقول ابن القيم : " وأما كفر الإعراض : فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه ، ولا يواليه ولا يعاديه ، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة ...

كما قال أحد بني عبد ياليل للنبي ﷺ : " والله لا أقول لك كلمة ، إن كنت صادقاً فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك ، وان كنت كاذباً ، فأنت أحقر من أن أكلمك ." اهـ[2]

4-كفر الشك في الحق :

قال الله تعالى : ﴿**وَدَخَلَ جَنّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لّنَفْسِهِ قَالَ مَآ أَظُنّ أَن تَبِيدَ هَـَذِهِ أَبَدا ۞ وَمَآ أَظُنّ السّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رّدِدتّ إِلَىَ رَبّي لأجِدَنّ خَيْراً مّنْهَا مُنْقَلَباً ۞ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمّ مِن نّطْفَةٍ ثُمّ سَوّاكَ رَجُلاً ۞ لكِنّاْ هُوَ اللّهُ رَبّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبّي أَحَداً**﴾ [الكهف: 35-38]

يقول ابن القيم : " وأما كفر الشك فانه لا يجزم بصدقه ، ولا يكذبه ، بل يشك في أمره ، وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول ﷺ جملة ، فلا يسمعها ولا يلتفت إليها ، وأما مع التفاته إليها ونظره فيها ، فانه لا يبقى معه شك ، لأنها مستلزمة للصدق ، ولا سيما بمجموعها ، فان دلالتها على الصدق كدلالة الشمس على النهار ." [3]

5- كفر الجحود والإنكار وكتمان الحق :

---

[1] **مدارج السالكين ، ج1 ص337**

[2] **مدارج السالكين ، ج1 ص 338.**

[3] **مدارج السالكين ، ج1 ص 338 .**

وهو أن يعرف الحق بقلبه ويصدقه ، ولكنه يكذبه بلسانه ويظهر عدم تصديقه .

يقول صاحب معارج القبول : " وان كتم الحق مع العلم بصدقه ، فكفر الجحود والكتمان ." [1]

قال تعالى : **﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾** [النمل: 14]

وقال تعالى : **﴿وَلَمّا جَآءَهُمْ كِتَابٌ مّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدّقٌ لّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمّا جَآءَهُمْ مّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾** [البقرة: 89] وقال تعالى: **﴿الّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنّ فَرِيقاً مّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ الْحَقّ مِن رّبّكَ فَلاَ تَكُونَنّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾** [البقرة: 146-147]

ويقول ابن القيم : "قال الله تعالى عن فرعون وقومه **﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ﴾** [النمل: 14] وقال لرسوله ﷺ : **﴿ فَإِنّهُمْ لاَ يُكَذّبُونَكَ وَلَكِنّ الظّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ ﴾** [الأنعام: 33] وإذا سمي هذا كفر تكذيب أيضاً فصحيح ، إذ هو تكذيب باللسان." [2]

6- كفر العناد والاستكبار :

وهو أن يعرف الحق بقلبه ويصدقه بقلبه ولسانه ، ولكنه يأبى أن يذعن له ويلتزم به ، ويستسلم له بقلبه وجوارحه .

يقول ابن القيم : " وأما كفر الإباء والاستكبار فنحو كفر إبليس ، فانه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار ، وانما تلقاه بالإباء والاستكبار . ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول ، وأنه جاء بالحق من عند الله ، ولم ينقد له إباء واستكباراً ، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه **﴿ فَقَالُوَاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُون ﴾** [المؤمنون: 47] وقول الأمم لرسلهم **﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلاّ بَشَرٌ مّثْلُنَا ﴾** [إبراهيم: 10] وقوله **﴿كَذّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴾** [الشمس: 11] وهو كفر اليهود كما قال تعالى **﴿ فَلَمّا جَآءَهُمْ مّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ ﴾** [البقرة: 89] وقال تعالى **﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾** [البقرة: 146] وهو كفر أبي طالب أيضاً ، فإنه صدقه ولم يشك في صدقه ، ولكن أخذته الحمية ، وتعظيم آبائه ، أن يرغب عن ملتهم ، ويشهد عليهم بالكفر ." [3]

---

[1] **معارج القبول ، ج2 ص19.**

[2] **مدارج السالكين ، ج1 ص337.**

[3] **مدارج السالكين ، ج1 ص337.**

ويلاحظ أن هذا النوع الأخير من الكفر والذي يسبقه ، كلاهما سببه هو عدم الخضوع للحق والاستسلام له . ويكون التعبير عن ذلك الرفض للحق: إما بادعاء عدم تصديقه ، وهو كفر الجحود ، واما بالإعلان صراحة عن عدم الالتزام به ، وهو كفر الاستكبار .

س24 – ما هو النفاق الأكبر الذي يبطل التوحيد ؟

الجواب :– **النفاق الأكبر** : هو أن يظهر التصديق باللسان ويظهر الانقياد والاستسلام باللسان والجوارح ، بينما يكون قلبه خالياً من الاعتقاد .

قال تعالى: **﴿وَمِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ، يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاّ أَنْفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ﴾** [البقرة: 8-9] وقال تعالى: **﴿اتّخَذُوَاْ أَيْمَانَهُمْ جُنّةً فَصَدّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِنهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ، ذَلِكَ بِأَنّهُمْ آمَنُواّ ثُمّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىَ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾** [المنافقون: 2-3]

س 25 – ما هي أركان الإيمان بالرسالة ؟

الجواب :– **أركان** الإيمان بالرسالة هي :

1 . الإثبات : وهو يتمثل في أربعة مراتب هي :

أ . إثبات النبوة للرسول صلى الله عليه وسلم . وهي أعظم المراتب الأربعة في الإثبات .

ب . تصديقه فيما أخبر .

ج . الموالاة فيه .

د . تكفير من تركه .

2. النفي : وهو يتمثل في أربعة أشياء هي :

أ . عدم جعل شريك له في النبوة .

ب . التغليظ في ذلك .

ج . المعاداة فيه .

د . تكفير من فعله .

س 26– ما هو الدليل على المرتبة الأولى من مراتب الرسالة في الإثبات وهي إثبات النبوة للرسول صلى الله عليه وسلم ؟

الجواب :–

قال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ﴾ [الفتح: 29] وقال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: 40] وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: 158] وقال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [المنافقون: 1]

قال رسول الله ﷺ : " **بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله** " [1]

س27– ما هو الدليل على المرتبة الثانية من مراتب الرسالة في الإثبات وهي تصديقه ﷺ فيما أخبر ؟

الجواب :

قال تعالى : ﴿ فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى ۞ وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ [القيامة: 31-32] وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: 32] وقال تعالى : ﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: 33] وقال تعالى : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِه وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: 285]

قال إسحاق بن راهويه :" وقد أجمع العلماء أن من دفع شيئاً أنزله الله وهو مقر بما أنزل الله أنه كافر ." [2]

وفسر هذا الكلام عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في كتابه المكفرات الواقعة فقال : " ومعنى قول إسحاق أن يدفع أو يرد شيئا مما أنزل الله في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الفرائض أو الواجبات أو المسنونات أو المستحبات بعد أن يعرف أن الله أنزله في كتابه أو أمر به رسوله أو نهى عنه ثم دفعه بعد ذلك فهو كافر مرتد وإن كان مقرا بكل ما أنزل الله من الشرع إلا ما دفعه وأنكره لمخالفته لهواه أو عادته أو عادة بلده وهذا معنى قول أهل العلم من أنكر فرعا مجمعا عليه فقد كفر ولو كان من أعبد الناس وأزهدهم " اهـ .

س28– ما هو الدليل على المرتبة الثالثة من مراتب الرسالة في الإثبات وهي : الموالاة فيه ؟

الجواب :–

قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْض ﴾ [التوبة: 71] وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: 10] وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِه إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ *وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: 26-28]

---

[1] متفق عليه.

[2] التمهيد 226/4، الصارم المسلول ص 451 .

وقال ﷺ : (**إن المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضا**) **وشبك أصابعه** . (**رواه البخاري ومسلم**)

وقال ﷺ : (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد . إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**) . (**رواه مسلم**)

س29- ما هو الدليل على المرتبة الرابعة من مراتب الرسالة في الإثبات وهي : تكفير من تركه ؟

الجواب : - قال تعالى عن اليهود الذين أنكروا رسالة محمد ﷺ :

﴿ **فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة: 89] وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ۞ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ [النساء: 150-151] وقال تعالى : ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [البقرة: 285] وقال تعالى : ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا** ﴾ [النساء: 136] وقال تعالى : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران: 85]

قال ابن القيم -رحمه الله - : " والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاء به ، فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافرا معاندا فهو كافر جاهل فغاية هذه الطبقة أنهم كفار جهال غير معاندين وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفاراً ، فإن الكافر من جحد توحيد الله وكذب رسوله إما عنادا أو جهلا وتقليدا لأهل العناد فهذا وإن كان غايته أنه غير معاند فهو متبع لأهل العناد ، بل الواجب على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر وأن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول " اهـ [1]

س30- ما هو الدليل على المرتبة الأولى من مراتب الرسالة في النفي وهي : إفراده بالرسالة وعدم جعل شريك له في النبوة ؟

الجواب :-

قال تعالى : ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ [الأحزاب: 40]

والإجماع منعقد على أن الصحابة كفروا من آمن بنبوة مسيلمة ، والأسود، وسجاح، والمختار الثقفي وغيرهم .

[1] **كتاب طريق الهجرتين** .

س31– ما هو الدليل على المرتبة الثانية من مراتب الرسالة في النفي وهي : التغليظ في ذلك ؟

الجواب :–

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [التوبة: 123] وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ [التوبة: 73]

قال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ **وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ** ﴾ [مريم: 48] وقال تعالى : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاؤُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ [الممتحنة: 4]

س32– ما هو الدليل على المرتبة الثالثة من مراتب الرسالة في النفي وهي : المعاداة فيه ؟

الجواب :–

قال تعالى في وصف الموحدين : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاؤُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ** ﴾ [الممتحنة: 4] قال ابن تيمية على قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ** ﴾ قال : " فدل أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب ." [1]

وجه الدلالة بالضد .

وقال ابن القيم : " الولاية تنافي البراءة فلا تجتمع البراءة والولاية أبدا " [2]

س33– ما هو الدليل على المرتبة الرابعة من مراتب الرسالة في النفي وهي : تكفير من فعله ؟

الجواب :–

قال ابن القيم : " والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والإيمان بالله وبرسوله واتباعه فيما جاء به ،فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وإن لم يكن كافرا معاندا فهو كافر جاهل فغاية هذه الطبقة أنهم كفار جهال غير معاندين وعدم عنادهم لا يخرجهم عن كونهم كفارا ، فإن الكافر من جحد توحيد الله وكذب رسوله إما عنادا أو جهلا وتقليدا لأهل العناد فهذا وإن كان غايته أنه غير معاند فهو متبع لأهل العناد، بل الواجب

---

[1] **الفتاوى 17/7** .

[2] **أحكام أهل الذمة 242/1** .

على العبد أن يعتقد أن كل من دان بدين غير دين الإسلام فهو كافر وأن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول ." [1]

قال القاضي عياض في كتابه الشفا في بيان مسائل النبوة : من اعترف بالإلهية والوحدانية ولكنه :

1 . جحد النبوة من أصلها عموما .

2 . أو نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خصوصا .

3 . أو أحد من الأنبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين أن علياً كان المبعوث إليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والإسماعيلية والعنبرية من الرافضة وإن كان بعض هؤلاء قد أشركوا في كفر آخر مع من قبلهم .

4 . وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه أو لم يدعها فهو كافر بإجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفية وأصحاب الإباحية .

5 . وكذلك من أضاف إلى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه وأخبر به .

6 . أو شك في صدقه .   7 . أو سبه .

8 . أو قال إنه لم يبلغ .   9 . أو استخف به .

10 . أو بأحد من الأنبياء .   11 . أو أزرى عليهم .

12 . أو آذاهم .   13 . أو قتل نبيا .

14 . أو حاربه فهو كافر بإجماع .

15 . وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أن في كل جنس من الحيوان نذيراً ونبياً من القردة والخنازير والدواب والدود وغير ذلك ويحتج بقوله تعالى : ﴿ **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلا خلا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ [فاطر: 24]

16 . وكذلك نكفر من اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان أسود .

17 . أو مات قبل أن يلتحي .

18 . أو ليس الذي كان بمكة والحجاز .

19 . أو ليس بقرشي لأن وصفه بغير صفاته المعلومة نفي وتكذيب به .

20 . وكذلك من ادعى نبوة أحد مع نبينا صلى الله عليه وسلم لو بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم بعده ، فكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة .

---

[1] **كتاب طريق الهجرتين.**

21. وكذلك من ادعى النبوة لنفسه .

22. أو جوّز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة .

23. وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدعي النبوة .

24. أو أنه يصعد إلى السماء ويدخل الجنة .

فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر صلى الله عليه وسلم أنه خاتم النبيين لا نبي بعده وأخبر عن الله أنه خاتم النبيين وأنه أرسل كافة للناس وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعاً إجماعاً وسمعاً " اهـ قاله في فصل في بيان ما هو من المقالات كفر .

س34- ما هي شروط الإيمان بالرسالة ؟

الجواب :- شروط الإيمان بالرسالة هي :

1 – العلم 2 – والتصديق 3 - واليقين 4 - والمحبة

5 - والقبول 6 - والانقياد 7 – والإخلاص 8 -والكفر بمن خالف فيها .

ومن الأول إلى السادس هذه شروط في الإثبات ، أما السابع والثامن فهي شروط في النفي ، السابع في نفي الشريك له في الرسالة والنبوة والثامن في تكفير من فعل ذلك وبغضه وعداوته .

قال تعالى : **﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾** [البقرة: 285] وقال تعالى : **﴿قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾** [آل عمران: 84] وقال تعالى : **﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا ﴾** [النساء: 136] وقال تعالى : **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ۞ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾** [النساء: 150-151]

سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال : (**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**) . [1]

---

[1] **متفق عليه.**

س35- ما الذي يكفي لدخول الإسلام من أصل الإسلام ومن الرسالة ؟

الجواب :- إن العامي الذي لا يعرف الأدلة إذا كان يعتقد وحدانية الرب سبحانه في النسك (الشعائر التعبدية والحكم والتشريع والولاية وكان يعتقد برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ويؤمن بالبعث بعد الموت وبالجنة والنار وأن الأمور الشركية التي تفعل في زمانه باطلة وضلال وأن فاعلها كافر غير مسلم ، فإذا كان يعتقد ذلك اعتقاداً جازماً لا شك فيه ، ولا يفعل أي نوع من أنواع الشرك فهو مسلم وإن لم يترجم بالدليل ، لأن عامة المسلمين ولو لقنوا الدليل فإنهم لا يفهمون المعنى غالباً .

عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر : أنه سمع أنس بن مالك يقول :

"بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد ، دخل رجل على جمل ، فأناخه في المسجد ثم عقله ، ثم قال لهم : أيكم محمد ؟ والنبي صلى الله عليه وسلم متكىء بين ظهرانيهم ، فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكىء. فقال له الرجل : ابن عبد المطلب ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (**قد أجبتك**). فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك . فقال : (**سل عما بدا لك**) . فقال : أسألك بربك ورب من قبلك ، آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال : (**اللهم نعم**). قال: أنشدك بالله ، آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ قال: (**اللهم نعم**). قال أنشدك بالله ، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ قال : (**اللهم نعم**) . قال : أنشدك بالله ، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (**اللهم نعم**) فقال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من ورائي من قومي ، وأنا ضمام بن ثعلبة ، أخو بني سعد بن بكر".

وفي رواية " فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**أفلح إن صدق**) [1]

قال ابن حزم رحمه الله : " وقال **سائر أهل الإسلام** كل من اعتقد بقلبه اعتقادا لا يشك فيه وقال بلسانه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن كل ما جاء به حق وبرئ من كل دين سوى دين محمد صلى الله عليه وسلم فإنه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك " [2]

س36- ما هي أنواع المخالفين في الرسالة المكذبين بالنبوة ؟

الجواب : المخالفين في الرسالة المكذبين بالنبوة أنواع هم :

1- من يدعي النبوة لنفسه كذباً واستقلالاً .

2. من يدعيها لنفسه شراكة في النبوة .

---

[1] **رواه البخاري ،أبو داود ، النسائي وغيرهم .**

[2] **الفصل 35/4 .**

3. من يصدق من ادعى النبوة .
4. من يقول بجواز النبوة لغيره ﷺ .
5. من يقول أن النبوة مكتسبة .
6. من يدعي أنه يوحى إليه لكنه لم يدعي النبوة .
7. من ينكر ختم الرسالة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم .
8. من يدعي أنه يكلم في المنام وغيره من مسائل الرؤيا .

قال تعالى : ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۞ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ** ﴾ [الشعراء: 221-223] قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ** ﴾ [الأنعام: 93]

قال ابن تيمية : " فإن الذي يضاهي الرسول الصادق لا يخلو إما أن يدعي مثل دعوته فيقول إن الله أرسلني وأنزل عليّ وكذب على الله . أو يدعي أنه يوحى إليه ولا يسمي موحيه كما يقول قيل لي ونوديت وخوطبت ونحو ذلك ويكون كاذباً فيكون هذا قد حذف الفاعل . أو لا يدعي واحداً من الأمرين لكنه يدعي أنه يمكنه أنه يأتي بما أتى به الرسول ووجه القسمة أن ما يدعيه في مضاهاة الرسول إما أن يضيفه إلى الله أو إلى نفسه أو لا يضيفه إلى أحد قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ** ﴾ ." [1]

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما ذكر المرتدين وفرقهم قال : " منهم من كذب النبي صلى الله عليه وسلم ورجعوا إلى عبادة الأوثان ومنهم من أقر بنبوة مسيلمة ظناً أن النبي صلى الله عليه وسلم أشركه في النبوة لأن مسيلمة أقام شهود زور شهدوا له بذلك فصدقهم كثير من الناس ومع هذا أجمع العلماء أنهم مرتدون ولو جهلوا ذلك ومن شك في ردتهم فهو كافر ." [2]

قال ابن تيمية : " وقال ﷺ : (**لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه رسوله الله**) وقال ﷺ : (**يكون بين يدي الساعة كذابون دجالون يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم**) وهؤلاء تنزل عليهم الشياطين وتوحي إليهم كما قال تعالى ﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ**﴾ ومن أول من ظهر من هؤلاء المختار بن أبي عبيد ." اهـ [3]

---

[1] **فتاوى ابن تيمية ج 35/ 143 .**

[2] **الدرر السنية ، 118/8.**

[3] **الفتاوى ، ج25/ص315 .**

وقال ابن تيمية : " فإن مسيلمة كان له شيطان ينزل عليه ويوحي إليه " [1]

وقال ابن تيمية في السحرة : " فيطيرون في الهواء والشيطان طار بهم ومنهم من يصرع الحاضرين وشياطينه صرعتهم ومنهم من يحضر طعاماً وإداماً وملأ الإبريق ماء من الهوى والشياطين فعلت ذلك فيحسب الجاهلون أن هذه كرامات أولياء الله المتقين وإنما هي من جنس أحوال السحرة والكهنة وأمثالهم ومن لم يميز بين الأحوال الرحمانية والنفسانية اشتبه عليه الحق بالباطل ومن لم ينور الله قلبه بحقائق الإيمان واتباع القرآن لم يعرف طريق المحق من المبطل والتبس عليه الأمر والحال كما التبس على الناس حال مسيلمة صاحب اليمامة وغيره من الكذابين في زعمهم أنهم أنبياء وإنما هم كذابون ، وقد قال صلى الله عليه وسلم (**لا تقوم الساعة حتى يكون فيكم ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه رسول الله**) فهذا هو الدجال الكبير ودونه دجاجلة منهم من يدعى النبوة ومنهم من يكذب بغير ادعاء النبوة كما قال ﷺ : (**يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم)** ". اهـ مختصرا

قال ابن تيمية : " وكذلك مسيلمة الكذاب وكان معه من الشياطين من يخبره بالمغيبات ويعينه على بعض الأمور وأمثال هؤلاء كثيرون مثل الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان وادعى النبوة وكانت الشياطين يخرجون رجليه من القيد وتمنع السلاح أن ينفذ فيه وتسبح الرخامة إذا مسحها بيده وكان يرى الناس رجالا وركبانا على خيل في الهواء ويقول هي الملائكة وإنما كانوا جناً ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه فقال له عبد الملك إنك لم تسم الله فسمى الله فطعنه فقتله وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذكر عندهم ما يطردها "[2]

ومن مَن ادعى النبوة : الأسود العنسي ، وسجاح ، ومكحول الحلبي . وبابا الرومي ومنهم اليوم : طائفة البهائية أو البابية التي أسسها المرزا علي رضا الشيرازي المتنبئ الكذاب وهذه الطائفة تنكر ختم النبوة . ومنهم طائفة القاديانية (الأحمدية) التي أسسها المرزا أحمد المتنبئ الكذاب . ومنهم بعض الرافضة الغالية .

س37-كيف ينتقل العبد من الشرك إلى الإسلام ؟

الجواب : لدخول الإسلام شروط يجب تحققها حتى نحكم على الشخص بأنه قد دخل الإسلام . وهذه الشروط هي :-

أولا :- العلم بمعنى الشهادتين .

إن العلم بمعنى الشهادتين شرط في عصمة المال والدم ، لأن اعتقاد الشهادتين يجب أن يسبقه العلم بمدلولهما – لأن الاعتقاد والتصور فرع العلم- إذ كيف يعتقد العبد اعتقاداً صحيحاً لشيء وهو جاهل بحقيقته ؟

[1] **فتاوى ابن تيمية ، ج25/ص315** .

[2] **فتاوى ابن تيمية ، ج11/ص285** .

ثانيا :- الانخلاع من الشرك بجميع أنواعه وأشكاله :-

لا يعتبر مسلماً من نطق الشهادتين وأدى بعض الشعائر الإسلامية وهو واقع في أحد أنواع الشرك الأكبر . فلا بد له من الانخلاع من الشرك الأكبر بجميع أشكاله وأنواعه .

ثالثاً :- الكفر بالطاغوت بجميع أنواعه وأشكاله .

الكفر بالطاغوت بجميع أنواعه وأشكاله شرط في الإيمان بالله وحده ، لأن الإيمان بالله وحده ، والإيمان بالطاغوت متضادان لا يجتمعان ولا يتفقان ، فلا يجتمع في قلب عبد الإيمان بالله والإيمان بالطاغوت ، لأنه إذا حل أحدهما في قلب امرئ طرد الآخر . فإما إيمان بالله وحده ، واما إيمان بالطاغوت أيا كان نوعه.

رابعاً : إفراد الله في الحكم .

إفراد الله في الحكم في جميع شؤون الحياة شرط في تحقيق الإسلام .

س38- ما هو الدليل على أن العبد لا يدخل الإسلام إلا بمعرفته معنى الشهادتين ؟

الجواب :

1- قال تعالى : **﴿ فاعلم أنه لا اله إلا الله ﴾** [محمد: 19]

2- وقال تعالى : **﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾** [الزخرف: 86]

3- عن أبي هريرة ﷺ قال :- قال رسول الله ﷺ : " **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله** ." [1]

4- وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺقال : " **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله** " [2].

5- وعن عبد الله بن عمر قال :- قال رسول الله ﷺ:- " **أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله** . " [3]

... وعن أبي مالك عن أبيه قال :- سمعت رسول الله ﷺ يقول :-"**من قال لا اله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**). وفي رواية أنه سمع النبي ﷺ يقول (**من وحد الله .. ثم ذكر مثله**). **(رواه مسلم)**

---

[1] **رواه مسلم.**

[2] **رواه مسلم.**

[3] **رواه مسلم.**

هذه الروايات تنص على أن القتال مشروع إلى أن (**يقولوا**) وفي رواية (**يشهدوا**) وفي رواية (**من وحد الله**) وفي رواية (**وكفر بما يعبد من دون الله**) وفي رواية أضاف (**ويؤمنوا بما جئت به**) فهذه الروايات كلها تدل على أن العلم بمعنى الشهادتين شرط في عصمة المال والدم . أي أن العبد لا يدخل الإسلام إلا بمعرفته معنى الشهادتين .

س39 – قد يقول قائل : يقول رسول الله ﷺ :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله .." ولم يقل حتى يعلموا ، فالتلفظ بالشهادتين يكفي لدخول الإسلام ولعصمة المال والدم ولو لم يعرف معناهما. فما هو الدليل على أن القول يقتضي العلم ؟

الجواب : ليس المقصود من **القول** في قوله ﷺ **"حتى يقولوا لا اله إلا الله** ..." مجرد التلفظ دون معرفة المعنى .

" فالقول " دليل على الاعتقاد :

قال صاحب لسان العرب في معنى كلمة " قول " :– فأما تجوزهم في تسمية الاعتقادات والآراء قولاً فلأن الاعتقاد يخفى فلا يعرف إلا بالقول ، أو بما يقوم مقام القول من شاهد الحال ، فلما كانت لا تظهر إلا بالقول سميت قولاً ، إذ كانت سبباً له ، وكان القول دليلاً عليها ، كما يسمى الشيء باسم غيره إذا كان ملابساً له وكان القول دليلا عليه ...

قال شمر :– تقول قوَّلني فلان حتى قلت ، أي : علَّمني وأمرني أن أقول ، قال:– قوَّلتني وأقوَلتني أي :– علَّمتني ما أقول وأنطقتني ، وحملتني على القول. وفي حديث سعيد بن المسيب حين قيل له : ما تقول في عثمان وعلي ؟ فقال:– أقول فيهما :– ما قوَّلني الله –تعالى– ثم قرأ :– ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان** ﴾ [سورة الحشر: 10] " . [1]

ومن هنا يعلم أن المقصود بقول النبي ﷺ : " **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله** " أي : حتى يعلموا وينطقوا لا اله إلا الله ، فالقول هنا لا بد فيه من العلم .

قال صاحب تيسير العزيز الحميد :– " وقد بين النبي ﷺ بقوله (**وحده لا شريك له**) تنبيها على أن الإنسان قد يقولها وهو مشرك ، كاليهود والمنافقين وعباد القبور ، فإنهم لما رأوا أن النبي قد دعا قومه إلى قول لا اله إلا الله ظنوا أنما دعاهم إلى النطق بها فقط . وهذا جهل عظيم . وهو عليه السلام إنما دعاهم إليها ليقولوها ويعملوا بمعناها ويتركوا عبادة غير الله . ولهذا قالوا :– ﴿ **أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون** ﴾ [الصافات: 36] وقالوا :– ﴿ **أجعل الآلهة إلها واحد ..** ﴾ [ص: 5]. فلهذا أبوا عن النطق بها. وإلا فلو قالوها وبقوا على عبادة اللات والعزى ومناة

---

[1] **لسان العرب لابن منظور.**

لم يكونوا مسلمين ، ولقاتلهم ﷺ حتى يخلعوا الأنداد ويتركوا عبادتها ويعبدوا الله وحده لا شريك له ، وهذا أمر معلوم بالاضطرار من الكتاب والسنة والإجماع." اهـ.[1]

س40- ما هو الدليل على أن قول رسول الله ﷺ " حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله ... " يقتضي العلم بمعنى الشهادتين ؟

الجواب : " الشهادة " تقتضي العلم .

قال صاحب لسان العرب :- " قال ابن سيدة : الشاهد : العالم الذي يبين ما علمه... وقال أبو بكر بن الأنباري في قول المؤذن أشهد أن لا اله إلا الله :- أعلم أن لا اله إلا الله ، وأبين أن لا اله إلا الله ، قال :- وقوله أشهد أن محمداً رسول الله ، أعلم وأبين أن محمداً رسول الله . وقوله ﷻ ﴿ **شهد الله أنه لا اله إلا هو** ﴾ قال أبو عبيدة : معنى شهد الله : قضى الله أنه لا اله إلا هو وحقيقته:- عَلِم الله وبَين الله ، لأن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه.... وشهد الشاهد عند الحاكم : أي بين ما علمه وأظهره ... وسأل المنذري أحمد بن يحي عن قول الله ﷻ ﴿**شهد الله أنه لا اله إلا هو** ﴾ فقال :- كل ما كان (**شهد الله**) فانه بمعنى :- علم الله ، قال وقال ابن الأعرابي :- معناه قال الله ويكون معناه علم الله ويكون معناه كتب الله . وقال ابن الأنباري :- معناه بين الله أنه لا اله إلا هو." اهـ [2]

وقال القرطبي في قوله تعالى :- ﴿ **ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون** ﴾ ... والمعنى :- ولا يملك هؤلاء الشفاعة إلا لمن شهد بالحق وآمن على علم وبصيرة . قاله :- سعيد بن جبير وغيره ، قال وشهادة الحق ، لا اله إلا الله ... (**وهم يعلمون**) حقيقة ما شهدوا به .

الثانية : قوله تعالى : ﴿**إلا من شهد بالحق وهم يعلمون**﴾ يدل على معنيين:

أحدهما :- أن الشهادة بالحق غير نافعة إلا مع العلم ، وأن التقليد لا يغني مع عدم العلم بصحة المقالة .

والثاني :- أن شرط سائر الشهادات في الحقوق وغيرها أن يكون الشاهد عالما بها، ونحوه ما روي عن النبي ﷺ :- (**إذا رأيت مثل الشمس فاشهد وإلا فدع**).[3]

وقال ابن كثير :-" ... هذا استثناء منقطع أي :- لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له ." [4]

---

[1] **تيسير العزيز الحميد، ص58** .

[2] **لسان العرب لابن منظور**.

[3] **تفسير القرطبي** .

[4] **تفسير ابن كثير**.

وقال الإمام الطبري :- " فقال بعضهم معنى ذلك :- ولا يملك عيسى وعزير والملائكة الذين يعبدهم هؤلاء المشركون الشفاعة عند الله لأحد إلا من شهد بالحق فوحد الله وأطاعه بتوحيد عن علم منه وصحة بما جاءت به رسله . قوله :- ﴿ **إلا من شهد بالحق** ﴾ قال : -كلمة الإخلاص . ﴿ **وهم يعلمون** ﴾ وهم يعلمون أن الله حق ، وعيسى وعزير والملائكة. يقول : - لا يشفع عيسى وعزير والملائكة إلا لمن شهد بالحق وهو يعلم أنه الحق ".[1]

وقال القرطبي :-" قوله :- (**أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له**) أي:- أنطق بما أعلمه وأتحققه : وأصل الشهادة للإخبار عما شاهده المخبر بحسه، ثم قد يقال:- على ما يحققه الإنسان ويتيقنه وإن لم يكن شاهداً للحس لأن المحقق علماً كالمدرك حساً ومشاهدة ... "[2]

وقال ابن تيمية : -" والشهادة :- لا بد فيها من علم الشاهد وصدقه وبيانه، لا يحصل مقصود الشهادة إلا بهذه الأمور ." [3]

وقال أيضا- رحمه الله – قال أبو الفرج في معنى الآية قولان :- أحدهما:- أنه أراد بِـ ﴿**الذين يدعون من دونه**﴾ آلهتهم ثم استثنى عيسى وعزيراً والملائكة . فقال :- إلا ﴿**من شهد بالحق**﴾ وهو شهادة أن لا اله إلا الله ﴿**وهم يعلمون** ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم . قال :- وهذا مذهب الأكثرين ، منهم قتادة . والثاني :- أن المراد بِـ﴿**الذين يدعون** ﴾ عيسى وعزيراً والملائكة الذين عبدهم المشركون . لا يملك هؤلاء الشفاعة لأحد ﴿ **إلا من شهد بالحق**﴾ وهي كلمة الإخلاص ﴿**وهم يعلمون** ﴾ أن الله خلق عيسى وعزيراً والملائكة. وهذا مذهب قوم ، منهم :- مجاهد ، إلى أن قال في ص (409 – 411) وهذا يتناول : الشافع والمشفوع له ، فلا يشفع إلا من شهد بالحق وهم يعلمون . فالملائكة والأنبياء والصالحون - وإن كانوا لا يملكون الشفاعة- لكن إذا أذن لهم الرب شفعوا . وهم لا يؤذن لهم إلا في الشفاعة للمؤمنين الذين يشهدون أن لا اله إلا الله . فيشهدون بالحق وهم يعلمون ، لا يشفعون لمن قال هذه الكلمة تقليداً للآباء والشيوخ كما جاء في الحديث الصحيح :- (**إن الرجل يسأل في قبره ما تقول في هذا الرجل ؟ فأما المؤمن فيقول :- هو عبد الله ورسوله جاءنا بالبينات والهدى، وأما المرتاب فيقول هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته**) فلهذا قال :- ﴿ **إلا من شهد بالحق وهم يعلمون** ﴾ وقد تقدم قول ابن عباس :- **يعني من** قال لا اله إلا الله **يعني** : خالصاً من قلبه. والأحاديث الصحيحة الواردة في الشفاعة كلها تبين :- أن الشفاعة إنما تكون في أهل (**لا اله إلا الله**). **اهـ** [4]

---

[1] **تفسير الطبري.**

[2] **تفسير القرطبي .**

[3] **مجموع الفتاوى ، ج14 ص187.**

[4] **مجموع الفتاوى ، ج14ص400-411.**

وقال صاحب فتح المجيد شارحاً معنى الشهادة :-" قوله :- (**من شهد أن لا إله إلا الله**) **أي** :- من تكلم بها عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً. فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها كما قال تعالى :- ﴿ **فاعلم أنه لا اله إلا الله** ﴾ وقوله :- ﴿ **إلا من شهد بالحق وهم يعلمون** ﴾ . أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك وإخلاص القول والعمل:- قول القلب واللسان ، وعمل القلب والجوارح ، فغير نافع بالإجماع.

قال القرطبي في المفهم على صحيح مسلم :- (باب لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين) بل لا بد من استيقان القلب- هذه الترجمة تدل على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين :- بأن التلفظ بالشهادتين في الإيمان كاف لمن وقف عليها. وأحاديث هذا الباب تدل على فساده ، بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة ، ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح ، وهو باطل قطعاً .

وفي هذا الحديث ما يدل على هذا وهو قول :- (**من شهد**) فان الشهادة لا تصح إلا إذا كانت عن علم ويقين وإخلاص وصدق .... وقال الوزير أبو المظفر في الإفصاح:- قوله :-(**شهادة أن لا اله إلا الله**) يقتضي أن يكون الشاهد عالما بأنه :- (**لا اله إلا الله**) كما قال تعالى:- ﴿ **فاعلم أنه لا اله إلا الله** ﴾ قال:- واسم الله مرتفع بعد (**إلا**) من حيث أنه الواجب له الإلهية ، فلا يستحقها غيره سبحانه . قال: وجملة الفائدة في ذلك :- أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله ، فإنك لما نفيت الإلـهية وأثبت الإيجاب لله سبحانه كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله .

وقال البقاعي :- (**لا اله إلا الله**) أي :- انتفى انتفاء عظيماً أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم ، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة ، وإنما يكون علماً إذا كان نافعاً ، وإنما يكون نافعاً إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه ، وإلا فهو جهل صرف...فَ (**لا اله إلا الله**) لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفياً وإثباتاً واعتقد ذلك بقلبه وعمل به . وأما من قالها من غير علم واعتقاد وعمل فقد تقدم من كلام العلماء أن هذا جهل صرف ، فهي حجة عليه بلا ريب ." اهـ[1]

وقال صاحب تيسير العزيز الحميد :-" قوله (**من شهد أن لا اله إلا الله**) أي:- من تكلم بهذه الكلمة عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً ، كما دل عليه قوله :- ﴿**فاعلم أنه لا اله إلا الله** ﴾ [محمد: 19]. وقوله : ﴿**إلا من شهد بالحق وهم يعلمون**﴾ [الزخرف: 86]. أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها ، فإن ذلك غير نافع بالإجماع . وفي الحديث ما يدل على ذلك وهو قوله : ﴿**من شهد** ﴾ إذ كيف يشهد وهو لا يعلم، ومجرد النطق بشيء لا يسمى شهادة به ." [2]

[1] **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، ص 35-39.**

[2] **تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ، ص: 53.**

وقال في ص60 :-" ولا ريب أنه لو قالها أحد من المشركين ونطق أيضاً بشهادة أن محمداً رسول الله ، ولم يعرف معنى الإله ومعنى الرسول وصلى وصام وحج ولا يدري ما ذلك إلا أنه رأى الناس يفعلونه ، فتابعهم ، ولم يفعل شيئاً من الشرك فإنه لا يشك أحد من عدم إسلامه ، وقد أفتى بذلك فقهاء المغرب كلهم في أول القرن الحادي عشر، أو قبله في شخص كان كذلك كما ذكره صاحب (الدر الثمين في شرح المرشد المعين) من المالكية، ثم قال شارحه:- وهذا الذي أفتوا به جلي في غاية الجلاء لا يمكن أن يختلف فيه اثنان . انتهى

ولا ريب أن عباد القبور أشد من هذا لأنهم اعتقدوا الالهية في أرباب متفرقين ." اهـ

س 41- ما هو الدليل على أن العبد حتى لو نطق الشهادتين وأدى بعض الشعائر الإسلامية ولكنه مازال واقعاً في أحد أنواع الشرك الأكبر أنه لا يعتبر مسلماً حتى ينخلع من الشرك الأكبر بجميع أشكاله وأنواعه ؟

الجواب : الأدلة على ذلك كثيرة جدا . منها :-

1-قال الله تعالى :- **﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصّلاَةَ وَآتَوُاْ الزّكَاةَ فَخَلّواْ سَبِيلَهُمْ إِنّ اللّهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ﴾** [التوبة: 5]

قال القرطبي :-" **﴿ فان تابوا ﴾** أي :- من الشرك ، **﴿ وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾**. هذه الآية فيها تأمّل وذلك أن الله تعالى علق القتل على الشرك ، ثم قال:- **﴿ فان تابوا ﴾** ، والأصل أن القتل متى كان للشرك يزول بزواله ، وذلك يقتضي زوال القتل بمجرد التوبة ، من غير اعتبار إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، ولذلك سقط القتل بمجرد التوبة قبل وقت الصلاة والزكاة ، وهذا بين في هذا المعنى . غير أن الله تعالى ذكر التوبة وذكر معها شرطين آخرين فلا سبيل إلى إلغائهما . نظيره قوله ﷺ : (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**).

... وقال ابن العربي :- فانتظم القرآن والسنة واطردا ." اهـ

انظر — هداك الله — إلى كلام الإمام القرطبي :- أن التوبة تكون من الشرك، وأن القتل لا يسقط إلا بالانتهاء عنه ، وقول الإمام ابن العربي :- أن الآية والحديث قد انتظما واتحد معناهما . فبنص القرآن أن الانتهاء عن القتل والأسر وتخلية سبيل المشركين ، شرطه :- التوبة من الشرك . وأن الآية والحديث (**أمرت أن أقاتل الناس**) معناهما واحد .

وقال ابن كثير :- وقال الإمام الطبري : - عن الربيع عن أنس قال :- قال رسول الله ﷺ : (**من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لا يشرك به شيئا ، فارقها والله عنه راض**) قال :- وقال أنس ﷺ

:- هو دين الله الذي جاءت به الرسل، وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء ، وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما أنزل الله . قال الله تعالى : ﴿ **فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم** ﴾ قال :- توبتهم ، خلع الأوثان وعبادة ربهم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . ثم قال في آية أخرى ﴿**فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين** ﴾ ورواه ابن مردويه ورواه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة . اهـ [1]

وقال الإمام الطبري :-" ﴿ **فان تابوا** ﴾ يقول :- فان رجعوا عما هم عليه من الشرك بالله ، وجحود نبوة نبيه محمد ﷺ ، إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد ، والإقرار بنبوة محمد ﷺ ."

2- قوله تعالى :- ﴿ **فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصّلاَةَ وَآتَوُاْ الزّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدّينِ وَنُفَصّلُ الاَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [التوبة: 11]

قال القرطبي :- قوله تعالى :- ﴿**فان تابوا** ﴾ أي : عن الشرك ، والتزموا أحكام الإسلام ﴿ **فإخوانكم** ﴾ أي :- فهم إخوانكم في الدين . قال ابن عباس : حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة. اهـ

وقال الإمام البغوي :-﴿ **فان تابوا** ﴾ من الشرك ﴿ **... فإخوانكم** ﴾ فهم إخوانكم ﴿ **في الدين** ﴾ لهم ما لكم وعليهم ما عليكم . اهـ

فهذه الآية نص على أن القتال لا يرتفع عن المشركين كافة إلا بالتوبة ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة يعني الالتزام بأحكام الإسلام .

واتفق السلف على أن المراد بالتوبة :- البراءة من الشرك ، وخلع عبادة الأوثان والأنداد والطواغيت ، وكل ما يعبد من دون الله مع التزام أحكام الإسلام . وأن هذه الآية مع الحديث :- (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله** ، **ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**) قد اتحد معناهما وانتظما .

واتفاق المفسرين عند تفسير هذه الآية بإتيان هذا الحديث وأمثاله لهو أدل دليل على أن الحديث أيضا يثبت نفس المعنى ، وهو أن القتال لا يرفع إلا بالانتهاء عن الشرك والتزام أحكام الإسلام ، وهو مراد قوله ﷺ (**إلا بحقها**).

ويؤكد هذا أيضا الحديث الصحيح الصريح :- (**من قال لا اله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**) ولذلك بوب إمام المحدثين البخاري بابا في صحيحه :- (**فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**) ، ثم ساق بسنده عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : (**أمرت أن أقاتل**

[1] **تفسير ابن كثير**.

الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله).

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني :- (... وانما جعل الحديث تفسيراً للآية، لأن المراد بالتوبة في الآية الرجوع عن الكفر إلى التوحيد ، ففسره قوله ﷺ : (**حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله**). وبين الآية والحديث مناسبة أخرى لأن التخلية في الآية والعصمة في الحديث بمعنى واحد . اهـ[1]

قال الإمام الشوكاني :- " وليس مجرد قول لا اله إلا الله من دون عمل بمعناها مثبتاً للإسلام ، فإنه لو قالها أحد من أهل الجاهلية ، وعكف على صنمه يعبده لم يكن ذلك إسلاماً . " اهـ[2]

وقال أيضا : -" لا شك أن من قال لا اله إلا الله ، ولم يتبين من أفعاله ما يخالف معنى التوحيد ، فهو مسلم محقون الدم والمال إذا جاء بأركان الإسلام المذكورة في حديث (**أمرت أن أقاتل الناس ...**) وهكذا من قال لا اله إلا الله متشهداً بها شهادة الإسلام ، ولم يكن قد مضى عليه من الوقت ما يجب منه شيء من أركان الإسلام ، فالواجب حمله على الإسلام عملا بما أقر به لسانه وأخبر به من أراد قتاله ، ولهذا قال ﷺ لأسامة بن زيد ما قال ، وأما من تكلم بكلمة التوحيد وفعل أفعالاً تخالف التوحيد، كاعتقاد هؤلاء المعتقدين في الأموات ، فلا ريب أنه قد تبين من حالهم خلاف ما حكته ألسنتهم من إقرارهم بالتوحيد ، ولو كان مجرد التكلم بكلمة التوحيد موجباً للدخول في الإسلام والخروج من الكفر ، سواء فعل المتكلم بها ما يطابق التوحيد أو ما يخالفه ، لكانت نافعة لليهود مع أنهم يقولون عزير بن الله ، وللنصارى مع أنهم يقولون المسيح بن الله ، وللمنافقين مع أنهم يكذبون بالدين ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم . وجميع هذه الطوائف الثلاث يتكلمون بكلمة التوحيد ." اهـ [3]

قال الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي :- (ولهما عن ابن عمر مرفوعا أن ﷺ قال :- (**أمرت أن أقاتل الناس ...**) أي المشركين منهم (**حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله**)، والمراد العلم بمعناها والعمل بمقتضاها... (**ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**) فهما ركنان لا يستقيم إسلام العبد إلا بهما (**فإذا فعلوا ذلك**) أي :- لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، (**عصموا مني دماءهم وأموالهم**) فلا يحل قتالهم حتى يأتوا بمناف للشهادتين (**إلا بحق الإسلام**) وهو التزام شرائعه . قال أبو بكر ﷺ (**لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على ذلك**) "[4]

---

[1] فتح الباري ، ج1 ص94-95، كتاب الإيمان.

[2] الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ، ص40.

[3] الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ، ص42.

[4] الإحكام شرح أصول الأحكام ، ج4 ص400.

3 - قال تعالى :- ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتّىَ لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدّينُ للّهِ فَإِنِ انْتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاّ عَلَى الظّالِمِينَ**﴾ [البقرة: 193]

فهذا النص يدل على أن القتال لا يرفع عن رؤوس المشركين إلا بانتهائهم وإقلاعهم وتبرئهم من كل ما يعبد من دون الله مع إخلاص العبادة لله الواحد القهّار .

قال ابن كثير في آية الأنفال : ... وقال الضحاك عن ابن عباس : (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة**) يعني لا يكون شرك . وكذا قال أبو العالية، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، والسدي ، ومقاتل بن حيان ، وزيد بن أسلم . وقال محمد بن إسحاق :- بلغني عن الزهري عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا :- (**حتى لا تكون فتنة**) :- حتى لا يفتتن مسلم عن دينه. وقوله : (**ويكون الدين كله لله**) ، قال الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية :- يخلص التوحيد لله ، وقال الحسن وقتادة وابن جريج (**ويكون الدين كله لله**) أن يقال :- لا اله إلا الله ، وقال محمد بن إسحاق :- ويكون التوحيد خالصاً لله ليس فيه شرك ، ويخلع ما دونه من الأنداد . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم :- (**ويكون الدين كله لله**) لا يكون مع دينكم كفر . ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال :- (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله** ....) اهـ.

وقال البغوي في آية البقرة (**وقاتلوهم**) يعني المشركين ، (**حتى لا تكون فتنة**) أي شرك ، يعني قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثني إلا الإسلام ، فان أبى قتل (**ويكون الدين**) أي الطاعة والعبادة (**لله**) وحده فلا يعبد شيء دونه... (**فان انتهوا**) عن الكفر وأسلموا (**فلا عدوان**) فلا سبيل (**إلا على الظالمين**) قاله ابن عباس . اهـ

وقال أبو بطين : - " وأيضا فالمقصود من لا اله إلا الله :- البراءة من الشرك وعبادة غير الله تعالى . ومشركو العرب يعرفون المراد منها لأنهم أهل لسان ، فإذا قال أحدهم :- (**لا اله إلا الله**) فقد تبرأ من الشرك وعبادة غير الله تعالى . فلو قال :- (**لا اله إلا الله**) وهو مصر على عبادة غير الله لم تعصمه هذه الكلمة لقوله ﷻ :- (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة**) أي : شرك (**ويكون الدين كله لله**) وقوله (**اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**) إلى قوله (**فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**).

وقال النبي ﷺ :- (**بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له**) وهذا معنى قوله تعالى :- (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين**-أي الطاعة -**كله لله**) وهذا معنى لا اله إلا الله ." اهـ[1]

ومما يؤكد على أن العبد حتى لو نطق الشهادتين وأدى بعض الشعائر الإسلامية ولكنه مازال واقعاً في أحد أنواع الشرك الأكبر أنه لا يعتبر مسلماً حتى ينخلع من الشرك الأكبر بجميع أشكاله وأنواعه ، فضلا عن دلالة النصوص السابقة من الكتاب والسنة ، هو فهم الصحابة -رضوان الله عليهم - أن النصوص على ظاهرها في أن غاية قتال المشركين هي :- إفراد الله بالعبادة .

[1] **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد.**

أخرج البخاري عن جبير بن حية قال :- (بعث عمر الناس في أفناء الأمصار يقاتلون المشركين ... فندبنا عمر واستعمل علينا النعمان بن مقرن ، حتى إذا كنا بأرض العدو ، وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفا ، فقام ترجمان فقال :- ليكلمني رجل منكم . فقال المغيرة :- سل عما شئت . قال :- ما أنتم ؟ قال : نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد ، نمص الجلد والنوى من الجوع ، ونلبس الوبر والشعر ونعبد الشجر والحجر ، فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السماوات ورب الأرضين – تعالى ذكره وجلت عظمته – إلينا نبيا من أنفسنا نعرف أباه وأمه ، فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية ...) اهـ[1]

فهذا النص من الصحابي الجليل المغيرة بن شعبة وهو في جموع المسلمين مع عدم الإنكار عليه . وهذا الإجماع (السكوتي) من الجيل الأول رضوان الله عليهم لهو أدل دليل على أن الغاية من القتال إفراد الله بالعبادة والتأله وحده لا شريك له وخلع عبادة كل ما سواه من الأنداد والأوثان والطواغيت والآلهة .

فان الله أنزل الكتب وأرسل الرسل وخلق الكون بأسره ، وأقام سوق الآخرة ليعبد ﷻ وحده بلا شريك ، ويدان له بالطاعة ، ويكفر بكل مطاع سواه ، ويكون ذلك كله بالقلب والجوارح ، وجعل علامة هذا الاعتقاد القلبي:- التلفظ بالشهادتين في الظاهر، وعند هذا يرفع القتال (**إلا بحقها**) ، ومن المعلوم بيقين أن إفراد الله بالعبادة هو حق لا اله إلا الله فإذا ظهر من العبد خلاف ما أقر به عاد القتال لتحقيق غايته . ولو كان المراد من الناس مجرد التلفظ بالشهادتين فقط دون الانخلاع من الشرك والعبودية بشتى صورها المختلفة لغير الله كافٍ ، فلم قال ﷺ : (**إلا بحقها**) ؟! إذ لو كان التلفظ هو وحده حقها لكان كل من تلفظ بالشهادتين قد أتى حقها ، وكان ذكر هذه اللفظة (**إلا بحقها**) لغو لا حكم لها ولا حقيقة مترتبة عليها – والعياذ بالله.

ونحن نبرأ بكلام سيد المرسلين ﷺ من ذلك وهو الذي أوتي جوامع الكلم . ويلزم من قائل هذه المقالة تصحيح إسلام وإيمان المنافق لأنه نطق بالشهادتين ، وهذا وحده حقها !! وان ظهر منه ما يدل على نفاقه كسبّ الله وكتابه وأنبيائه ، وموالاة الكافرين، والبراءة من المسلمين ، والتحاكم لغير الله ، ورفض حاكمية الله ، والمسرة بهزيمة المسلمين ، والحزن بانهزام المشركين .

س42- ما هو الدليل على أن العبد لا يدخل الإسلام حتى يكفر بالطاغوت بجميع أنواعه وأشكاله ؟

الجواب :

1- قال تعالى :- ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى** ﴾ [البقرة: 256]

[1] **فتح الباري ج6 ص298 ، كتاب الجزية والموادعة .**

قال القرطبي : يقول تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ ﴾ [البقرة: 256]

جزم بالشرط ، والطاغوت مؤنث من طغى يطغى – وحكى الطبري- يطغوا إذا جاوز الحد بزيادة عليه ... (**فقد استمسك بالعروة الوثقى**) جواب الشرط ...فقال مجاهد :- العروة :- الإيمان ، وقال السدي : الإسلام ، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك :- لا اله إلا الله . وهذه عبارات ترجع إلى معنى واحد . اهـ .

وقال البغوي :- (**فمن يكفر بالطاغوت**) يعني :- الشيطان ، فقيل :- كل ما عبد من دون الله -تعالى- فهو طاغوت ....(**ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**) أي :- تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين .... (**لا انفصام لها**) لا انقطاع لها. ا هـ .

وقال ابن كثير : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ ﴾ [البقرة: 256] أي : من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله ، وَوَحَّدَ الله فعبده وحده وشهد : أن لا اله إلا الله. ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ أي : فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم ...

ومعنى قوله : (أي الفاروق عمر ﷺ) في الطاغوت : أنه الشيطان ، قوي جداً، فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها ، والإستنصار بها ...

قال مجاهد : ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ﴾ يعني الإيمان . وقال السدي: هو الإسلام وقال سعيد بن جبير والضحاك : لا اله إلا الله ...

وهذه الأقوال صحيحة ولا تنافي بينها . اهـ

وقال الإمام الطبري : والصواب من القول عندي في الطاغوت : أنه كل ذي طغيان على الله فعبد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده وإما بطاعة ممن عبده له . إنساناً كان ذلك المعبود أو شيطاناً أو وثناً أو صنماً أو كائناً من كان من شيء... فتأويل الكلام إذاً : فمن يجحد ربوبية كل معبود من دون الله ويكفر به (**ويؤمن بالله**) يقول: ويصدق بالله أنه إلهه وربه ومعبوده (**فقد استمسك بالعروة الوثقى**) . يقول : فقد تمسك بأوثق ما يتمسك به من طلب الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه ... (**والله سميع عليم**) يعني : تعالى ذكره والله سميع إيمان المؤمن بالله وحده الكافر بالطاغوت عند إقراره بوحدانية الله وتبرئه من الأنداد والأوثان التي تعبد من دون الله (**عليم**) بما عزم عليه من توحيد الله وإخلاص ربوبية قلبه وما انطوى عليه — من البراءة من الآلهة والأصنام والطواغيت – ضميره ، وبغير ذلك مما أخفته نفس كل أحد من خلقه لا يتكتم عنه سر ولا يخفى عليه أمر ، حتى يجازي كلاً يوم القيامة بما نطق به لسانه وأضمرته نفسه إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً . اهـ

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب :" واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكفر بالطاغوت والدليل قوله تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**) الرشد : دين محمد ﷺ والغي : دين أبي جهل . والعروة الوثقى : شهادة أن لا إله إلا الله وهي متضمنة للنفي والإثبات تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله وتثبت جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له ." اهـ[1]

2- وقال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: 36]

قال الشنقيطي في قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: 36]

ولا تنفع عبادة الله إلا بشرط اجتناب عبادة ما سواه كما بينه تعالى بقوله : ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ** ﴾ [البقرة: 256] وقوله : ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾ إلى غير ذلك من الآيات .اهـ

3- وقال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ** ﴾ [الزمر: 17]

س43- ما هو الدليل على أن العبد لا يدخل الإسلام حتى يفرد الله في الحكم في جميع شؤون الحياة ؟

الجواب :

1- قال تعالى : ﴿ **إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ للّهِ أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوَاْ إِلاّ إِيّاهُ ذَلِكَ الدّينُ الْقَيّمُ وَلكن أَكْثَرَ النّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف: 40]

2-قال تعالى : ﴿ **قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىَ كَلَمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: 64]

قال الإمام الطبري : " يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد لأهل الكتاب وهم أهل التوراة والإنجيل (**تعالوا**) هلموا إلى (**كلمة سواء**) يعني : إلى كلمة عدل بيننا وبينكم ، والكلمة العدل هي : أن نوحد الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه، فلا نشرك به شيئاً ، وقوله : (**ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً**) يقول : ولا يدين بعضنا لبعض في الطاعة في ما أمر به من معاصي الله ويعظمه بالسجود له كما يسجد لربه (**فإن تولوا**) يقول : فإن أعرضوا عما دعوتهم إليه من الكلمة السواء التي أمرتك بدعائهم إليها فلم يجيبوك إليها فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك اشهدوا بأننا مسلمون ... وأما قوله : (**ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا**) فإن اتخاذ بعضهم

[1] **مجموعة التوحيد ، ص 15** .

بعضاً هو: الأتباع للرؤساء فيما أمروهم به من معاصي الله وتركهم ما نهوهم عنه من طاعة الله كما قال جل ثناؤه : (**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً**) .

(ثم ساق بسنده) عن ابن جريج قال : (**ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله**) يقول: لا يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله ويقال : إن تلك الربوبية أن يطيع الناس سادتهم وقادتهم في غير عبادة وإن لم يصلوا لهم ...وأما قوله : (**فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأننا مسلمون**) فإنه يعني : فإن تولى الذين تدعوهم إلى الكلمة السواء عنها وكفروا فقولوا أنتم أيها المؤمنون لهم : اشهدوا علينا بأننا بما توليتم عنه من توحيد الله وإخلاص العبودية له وأنه الإله الذي لا شريك له مسلمون يعني : خاضعون لله به متذللون له بالإقرار بذلك بقلوبنا وألسنتنا ".اهـ

قال القرطبي في تفسير هذه الآية : " **الأولى** : الخطاب في قول حسن وابن زيد والسدي : لأهل نجران . وفي قول قتاده وإبن جريج وغيرهما : ليهود المدينة . خوطبوا بذلك لأنهم جعلوا أحبارهم في الطاعة لهم كالأرباب . وقيل : هو لليهود والنصارى جميعاً وفي كتاب النبي ﷺ إلى هرقل : (**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى** : (**أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام**) **أسلم تسلم** (**وأسلم**) **يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و**(**يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ....**) لفظ مسلم **...**

الثانية : قوله تعالى : (**ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله**) أي : لا نتبعه في تحليل شيء أو تحريمه إلا في ما حلله الله تعالى وهو نظير قوله تعالى : (**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**) معناه : أنهم أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله ولم يحلله الله**...**

الثالثة : (**فإن تولوا**) أي : أعرضوا عما دعوا إليه : (**فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**) أي : متصفون بدين الإسلام منقادون لأحكامه معترفون لما لله علينا في ذلك من المنن والأنعام غير متخذين أحداً رباً لا عيسى ولا عزيراً ولا الملائكة لأنهم بشر مثلنا محدث كحدوثنا ، ولا نقبل من الرهبان شيئاً بتحريمهم علينا ما لم يحرمه الله علينا فنكون قد اتخذناهم أرباباً من دون الله. وقال عكرمة : معنى (يتخذ) يسجد وقد تقدم أن السجود كان إلى زمن النبي ﷺ . ثم نهى النبي معاذاً لما أراد أن يسجد كما مضى في البقرة بيانه .اهـ

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية : " هذا الخطاب يعم : أهل الكتاب ومن جرى مجراهم (**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة**) والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ههنا ثم وصفها بقوله : (**سواء بيننا وبينكم**) أي : عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها ثم فسرها بقوله : (**أن لا نعبد إلا الله**) لا وثناً ولا صليباً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً ، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له هذه دعوة جميع الرسل : ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ** ﴾ [النحل: 36]

ثم قال تعالى : ﴿ **وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ** ﴾ . وقال : ابن جريج يعني : نطيع بعضنا بعضاً في معصية الله . وقال عكرمة يسجد بعضنا لبعض : ﴿ **فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ أي :

إن تولوا عن هذا النصف وهذه الدعوة فاشهدوا أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم (ثم أخذ يذكر حديث هرقل) . اهـ .

فبعد قراءة هذه الآية الكريمة وأقوال المفسرين فيها يتبين لنا وبشكل واضح لا لبس فيه أن هذه الآية الكريمة تتحدث وتفصل القدر المطلوب من العباد تحقيقه حتى يأمنوا على دمائهم وأموالهم وتجري عليهم أحكام الإسلام في الظاهر –والله يتولى السرائر– وهو عبادة الله وحده لا شريك له وخلع عبادة الآلهة والطواغيت والأرباب ، وأن نكون جميعاً عبيداً لله الواحد القهّار وأن لا نُنْزِل أحداً من البشر منزلة الإله والرب في الطاعة والتلقي والاتباع والحكم والتحاكم .

وإتيان المفسرين بحديث هرقل عند تفسير هذه الآية والاستشهاد به لأكبر دليل على أن هذا هو الإسلام الذي تجري به الأحكام في الدنيا وأن هذه المعاني كلها تشملها الكلمة العاصمة للدم والمال ، وعندما يطالب الشرع قوماً في موضع بقوله : (**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ....**) وفي موضع آخر يطالب قوماً بقوله: (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله...**) ولم يختلف المطلوب من كليهما علم بيقين مطابقة الحديث للآية ، والآية للحديث وثبت من هذا أن الإسلام الذي تجري به الأحكام بالظاهر – والله يتولى السرائر – هو : التزام التوحيد وترك الشرك قولاً وعملاً. والتزام التوحيد وترك الشرك قولاً وعملا يقتضي إفراد الله جل وعلا بالطاعة والتلقي والإتباع والحكم والتحاكم . فلا نتبع إلا قانون الله وشرعه فلا نحل إلا ما أحلّ ولا نحرِّم إلا ما حرَّم . ونعدّ من حرّم ما أحلّ الله أو أحلّ ما حرّم الله عن علم بحكم الله طاغوتاً يجب رده وتكفيره وتكفير من لم يكفره ، وأن نسعى بكل ما نملك من جهد ومال لإزالة هذا الطاغوت وتحكيم شرع الله في كل صغيرة وكبيرة .

س44 – هل الجهل والتأويل والتقليد عذر في نقض أصل الإسلام ؟

الجواب : لا عذر بالجهل والتأويل والتقليد في نقض أصل الإسلام ، سواء وجدت مظنة العلم –كدار الإسلام – أم لم توجد –كدار الحرب – وسواءً ثبتت الحجة أم لم تثبت . ويجب اعتبار الجاهل فيه غير مسلم .وهذا الحكم متفق عليه بين أئمة الإسلام .

فالناس قبل البعثة وإقامة الحجة معذورون في أحكام وغير معذورين في أحكام أخرى، معذورون أنهم لا يعذبون في الدنيا والآخرة ، حتى تقام عليهم الحجة الرسالية، وهذا من رحمة الله وفضله . وغير معذورين في اقترافهم الشرك وما ينبني عليه من أحكام مثل :– عدم الصلاة عليهم ولا دفنهم في مقابر المسلمين ، وكعدم القيام على قبورهم والاستغفار لهم ، وحرمة أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم .

س 45– ما هو الدليل على عدم العذر بالجهل والتأويل والتقليد في نقض أصل الإسلام ؟

الجواب : الأدلة في ذلك كثيرة جداً منها :

1- يقول الله تعالى :- ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۝ أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ۝ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون ﴾ [الأعراف: 172-174]

قال الطبري :- ﴿أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ يقول تعالى ذكره ﴿ شَهِدْنَآ ﴾ عليكم أيها المقرون بأن الله ربكم كي لا تقولوا يوم القيامة ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ : إنا كنا لا نعلم ذلك وكنا في غفلة منه ﴿ أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ﴾ اتبعنا مناهجهم على جهل منا بالحق .) **اهـ**

قال القرطبي :- " قال الطرطوشي : - إن هذا العهد يلزم البشر وان كانوا لا يذكرونه في هذه الحياة كما يلزم الطلاق من شهد عليه به وقد نسيه... وقال ابن عباس وأبي بن كعب : - قوله شهدنا هو من قول بني آدم ، والمعنى شهدنا أنك ربنا والهنا...﴿ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ بمعنى لست تفعل هذا ، ولا عذر للمقلد بالتوحيد . " اهـ

وقال ابن تيمية :- " الحمد لله ، أما قوله ﷺ : (**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**) فالصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وهي فطرة الإسلام ، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال:- ﴿ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾ وهي :- السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة. فان حقيقة (الإسلام) : - أن يستسلم لله لا لغيره ، وهو معنى لا اله إلا الله . وقد ضرب رسول الله ﷺ مثلا لذلك فقال :- (**كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟**) بين أن سلامة القلب من النقص كسلامة البدن وأن العيب حادث طارئ . وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال : - قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله (**إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا**) . ولهذا ذهب الإمام أحمد في المشهور عنه إلى أن الطفل متى مات أحد أبويه الكافرين حكم بإسلامه لزوال الموجب للتغيير عن أصل الفطرة ، وقد روي عنه وعن ابن المبارك وغيرهم أنهم قالوا : - (يولد على ما فطر عليه من شقاوة وسعادة) وهذا القول لا ينافي الأول ، فإن الطفل يولد سليما وقد علم الله أنه سيكفر فلا بد أن يصير إلى ما سبق له في أم الكتاب كما تولد البهيمة جمعاء وقد علم الله أنها ستجدع... - إلى أن قال - ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا ، ولكن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق الذي هو الإسلام بحيث لو ترك من غير مغير لما كان إلا مسلماً . وهذه القوة العلمية العملية التي تقتضي بذاتها الإسلام ما لم يمنعها مانع :- هي فطرة الله التي فطر الناس عليها ." اهـ [1]

---

[1] **مجموع الفتاوى : ج4 ، ص 245.**

فهذا الإمام ابن تيميه (رحمه الله) يثبت أن العهد والميثاق الذي أخذه الله علينا هو الفطرة التي فطر الله – جل ثناؤه – الناس عليها . وأن الله فطر كل نفس على قبول الحق والسلامة من الاعتقادات الباطلة ، وأن هذه الفطرة لو تركت بلا مغير لما كان صاحبها إلا مسلماً ، وبهذا يعلم أن المشرك الذي لم تقم عليه حجة الرسول قد نقض العهد والميثاق المأخوذ عليه .

2- قوله تعالى : **﴿لَمْ يَكُنِ الّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكّينَ حَتّىَ تَأْتِيَهُمُ الْبَيّنَةُ ۞ رَسُولٌ مّنَ اللّهِ يَتْلُو صُحُفاً مّطَهّرَةً﴾** [البينة: 1-2]

فهذه الآية تدل بوضوح على إثبات وصف الشرك والكفر قبل البعثة المحمدية والحجة القرآنية.

منفكين : أي منتهين عن كفرهم ، مائلين عنه . (القرطبي)

قال ابن تيمية : – وممن ذكر هذا أبو الفرج ابن الجوزي . قال : **﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾** اليهود والنصارى **﴿ والمشركين ﴾** وهم عبدة الأوثان **﴿منفكين ﴾** أي منفصلين وزائلين ... والمعنى لم يكونوا زائلين عن كفرهم وشركهم حتى أتتهم البينة . لفظه لفظ المستقبل ومعناه الماضي ، والبينة الرسول وهو محمد ﷺ ، بيّن لهم ضلالهم وجهلهم ... ولفظ البغوي نحو هذا ، قال :– لم يكونوا منتهين عن كفرهم وشركهم .. **﴿حتى تأتيهم البينة ﴾** لفظه مستقبل ومعناه الماضي ، أي حتى أتتهم البينة – الحجة الواضحة – يعني محمدا (ﷺ) أتاهم بالقرآن فبيّن لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم إلى الإيمان ، فأنقذهم الله به من الجهل والضلال .اهـ[1]

3- قوله تعالى:–**﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتّىَ يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنّهُمْ قَوْمٌ لاّ يَعْلَمُونَ ﴾** [التوبة: 6]

فهذه الآية المحكمة في دلالتها تثبت بوضوح حكم الشرك مع الجهل الشديد المطبق في وقت اندرست فيه الشرائع وطمست فيه السبل . ففي هذه الآية وصفان لشخص واحد هما الشرك والجهل بالرسالة المحمدية . فالجهل بالرسالة المحمدية لم يمنع من وصف من يرتكب الشرك بأنه مشرك.

وقال البغوي : **﴿حتى يسمع كلام الله ﴾** فيما له وعليه من الثواب والعقاب...

﴿ ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾ أي : لا يعلمون دين الله وتوحيده فهم محتاجون إلى سماع كلام الله . وقال الحسن : هذه الآية محكمة إلى قيام الساع.

4- قوله تعالى :– **﴿وَلَوْلآ أَن تُصِيبَهُم مّصِيبَةٌ بِمَا قَدّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبّنَا لَوْلآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [القصص: 47]

قال الطبري :– يقول تعالى ذكره :– ولولا أن يقول هؤلاء الذين أرسلتك يا محمد إليهم لو حلّ بهم بأسنا أو أتاهم عذابنا من قبل أن نرسلك إليهم على كفرهم بربهم واكتسابهم الآثام واجتراحهم المعاصي :– "ربنا هلا

[1] مجموع الفتاوى : ج16 ص483-486.

أرسلت إلينا رسولا من قبل أن يحل بنا سخطك وينزل بنا عذابك فنتبع أدلتك وآي كتابك الذي تنزله على رسولك ونكون من المؤمنين بألوهيتك المصدقين رسولك فيما أمرتنا ونهيتنا " لعاجلناهم العقوبة على شركهم من قبل ما أرسلناك إليهم ، ولكنا بعثناك إليهم نذيرا على كفرهم لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

وقال ابن كثير : " أي وأرسلناك إليهم لتقيم عليهم الحجة ولينقطع عذرهم إذا جاءهم عذاب من الله بكفرهم فيحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول ولا نذير ".

فهذه الآية الكريمة تبين أنه قبل البعثة والرسالة المحمدية كان وصف الشرك ثابتاً على من أشرك بالله ، ولكن قضية عذابهم على هذا الشرك تحتاج إلى إرسال الرسول وإقامة الحجة بالقرآن ليقطع عذرهم بالعذاب . ومع هذا فقد اتفق السلف على أنهم قبل إقامة الحجة مشركون كافرون غير مسلمين ، إلا أنهم لا يعذبون إلا بعد الحجة الرسالية على خلاف بينهم في هذا الأخير .

5- قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ** ﴾ [الحجرات: 2]

فصح بنص الآية الجلي الواضح أن هناك من يقع في الشرك المستوجب إحباط العمل من غير أن يعلم أنَّ ما وقع منه هو الشرك لصريح قوله تعالى: ﴿ **وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ** ...﴾ . فهذه الآية وما قبلها برهان قطعي على إثبات صفة الكفر وحكمه على كل من تلبس بالشرك ، علم أو لم يعلم ، عاند أو لم يعاند، قلد أو لم يقلد .

قال ابن القيم رحمه الله : " فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياستهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها عليه ، أليس هذا أولى أن يكون محبطاً لأعمالهم "اهـ[1]

يقول ابن حزم معلقاً على هذه الآية : " فهذا نص جلي وخطاب للمؤمنين بأن إيمانهم يبطل جملة وأعمالهم تحبط برفع أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ دون جحد كان منهم أصلاً ، ولو كان منهم جحد لشعروا له ، والله تعالى أخبرنا بأن ذلك يكون وهم لا يشعرون ، فصح أن من أعمال الجسد ما يكون كفراً مبطلاً لإيمان فاعله جملة ومنه ما لا يكون كفراً . " اهـ [2]

6- **شرك قوم نوح** عليه السلام ، وهو أول شرك وقع على وجه الأرض ، ومن المعلوم بيقين أن آدم عليه السلام قد ترك ذريته على التوحيد الخالص ، ثم بدأ الشرك يدب في ذريته بسنن شيطانية والتي تحدث عنها حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما ، فأصبحوا مشركين فبعث الله نوحاً وهو أول رسول إلى أهل الأرض بنص حديث الشفاعة الصحيح . ومن المعلوم أيضا أن نوحا عليه السلام كان يخاطب قومه على أنهم : مشركون لا مسلمين . فأين الرسول الذي أقام الحجة عليهم قبله حتى يثبت لهم وصف الشرك وحكمه ؟

---

[1] **إعلام الموقعين ، 51/1.**

[2] **الفصل ، ج3 ص220.**

وما يقال في قوم نوح عليه السلام يقال في كل أمة بين رسولين ، لأن الرسل ترسل لأقوامهم- المشركين الجاهلين- بالإسلام ، فيكفر بهم أكثر أقوامهم ، ويؤمن لهم من وفقه الله للهداية ثم يفصل الله بينهم وبين أقوامهم ، ويبقى الموحدون بعد هلاك الكفار بالرسالات ثم يمكثوا ما شاء الله لهم على التوحيد، حتى إذا تنسخ العلم لديهم دبّ فيهم الشرك وأتوا من قبل جهلهم وتخرصهم على ربهم بغير سلطان لديهم من الله ، فعند هذا يبعث الله رسولا ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن الجهل إلى العلم ، ويتوعدهم بالعذاب في الدارين إن استمروا على شركهم وكفرهم بعد الحجة الرسالية . وهذا لقوله تعالى :

﴿ رُسُلاً مّبَشّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجّةٌ بَعْدَ الرّسُلِ ﴾ [النساء: 165]

ومن هذا يعلم :- أن اسم المشرك ثابت قبل بلوغ الرسالة على كل من تلبس بالشرك ، علم أو لم يعلم ، عاند أو لم يعاند ، قلد أو لم يقلد . أما العذاب في الدارين فلا يكون إلا بعد بلوغ الرسالة .

قال ابن تيمية :- " وكذلك أخبر عن هود أنه قال لقومه ﴿....**إن أنتم إلا مفترون** ﴾ فجعلهم مفترين قبل أن يحكم بحكم يخالفونه لكونهم جعلوا مع الله إلها آخر . فاسم المشرك ثبت قبل الرسالة ، فإنه يشرك بربه ويعدل به ويجعل معه آلهة أخرى ويجعل له أنداداً قبل الرسالة ، ويثبت أن هذه الأسماء مقدم عليها، وكذلك اسم الجهل والجاهلية ، يقال جاهلية وجاهلا قبل مجيء الرسول ، أما التعذيب فلا، والتولي عن الطاعة كقوله ﴿ **فلا صدق ولا صلى ۞ ولكن كذب وتولى** ﴾ فهذا لا يكون إلا بعد الرسول ."اهـ [1]

قال ابن تيمية نقلا عن محمد بن نصر المروزي :- " قالوا : ولما كان العلم بالله إيماناً والجهل به كفراً ، وكان العمل بالفرائض إيمانا والجهل بها قبل نزولها ليس بكفر ، لأن أصحاب رسول الله ﷺ قد أقروا بالله أول ما بعث الله رسوله ﷺ إليهم ولم يعلموا الفرائض التي افترضت عليهم قبل ذلك ، فلم يكن جهلهم بذلك كفرا ، ثم أنزل الله عليهم الفرائض فكان إقرارهم والقيام بها إيمانا ، وإنما يكفر من جحدها لتكذيبه خبر الله ، ولو لم يأت خبر من الله ما كان بجهلها كافرا ، وبعد مجيء الخبر من لم يسمع بالخبر من المسلمين لا يكون بجهله كافرا ، والجهل بالله في كل حال كفر قبل الخبر وبعده ." اهـ[2]

وقال صاحب بدائع الصنائع :- " فان أبا يوسف روى عن أبي حنيفة هذه العبارة فقال :- كان أبو حنيفة رضي الله عنه يقول :- لا عذر لأحد من الخلق في جهله معرفة خالقه لأن الواجب على جميع الخلق معرفة الرب سبحانه وتعالى وتوحيده – لما يرى من خلق السماوات والأرض وخلق نفسه وسائر ما خلق الله جل جلاله فأما الفرائض فمن لم يعلمها ولم تبلغه فان هذا لم تقم عليه حجة حكمية .اهـ[3]

---

[1] **مجموع الفتاوى ، ج20 ص37.**

[2] **مجموعة الفتاوى ، ج7 ص325**

[3] **بدائع الصنائع ، ج7 ص132.**

7- قال رسول الله ﷺ : (**كل مولود يولد على الفطرة** – وفي رواية على هذه الملة – **فأبواه يهوِّدانه ، أو ينصِّرانه ، أو يمجِّسانه**). [1]

ونحن نعلم يقيناً أن كفر جماهير اليهود والنصارى والمجوس إنما هو كفر جهل وتقليد ، ولم يعتبر الحكم الشرعي بذلك ، وإنما أثبت حكم الكفر لهم ، ولأن غير ذلك معناه إثبات حكم الإسلام والتوحيد – لا محاله – وهذا باطل جملة ومن حيث الأصل.

8-قال رسول الله ﷺ : (**يقول الله تعالى : إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم**). [2]

ولفظ (**اجتالتهم عن دينهم**) أي حولتهم عن دينهم كما جاء في لسان العرب لابن منظور ، في مادة جَوَّلَ فصح أن من خرج من التوحيد وتلبس بالشرك ، قد خرج من الدين الحق إلى دين الكفر والشرك ، جهل أو علم ، عاند أو لم يعاند ، قلد أو نظر وتأمل .

9- عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ " رأى رجلاً في يده حلقة من صفر . فقال : **ما هذه ؟** قال : من الواهنة . فقال : **انزعها ، فإنها لا تزيدك إلا وهنا ، فإنك لو متّ وهي عليك ما أفلحت أبدا**." [3]

يقول محمد بن عبد الوهاب في تعليقه على هذا الحديث : " فيه شاهد لكلام الصحابة : أن الشرك الأصغر أكبر الكبائر ، وأنه لم يعذر بالجهالة " [4]

فإذا كان الرجل لم يعذر بالجهالة في أمر من أمور الشرك الأصغر ، فكيف بالشرك الأكبر ؟

10- عن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال : " **دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب** ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : مرَّ رجلان على قوم لهم صنم ، لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً ، فقالوا لأحدهما: قرِّب . قال : ليس عندي شئ أقرِّب . قالوا له : قرب ولو ذباباً . فقرب ذباباً ، فخلوا سبيله فدخل النار . وقالوا للآخر قرِّب ، فقال : ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة ". [5]

يقول صاحب فتح المجيد : " وفي هذا الحديث التحذير من الوقوع في الشرك، وأن الإنسان قد يقع وهو لا يدري أنه من الشرك الذي يوجب النار." [6]

---

[1] **رواه الشيخان .**

[2] **رواه مسلم .**

[3] **رواه الإمام أحمد .**

[4] **فتح المجيد ، ص117.**

[5] **رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد .**

[6] **فتح المجيد ، ص149.**

ويقول : " إن ذلك الرجل كان مسلماً قبل ذلك – أي أنه كفر بهذا الفعل فقط– وإلا فلو لم يكن مسلماً لم يقل دخل النار في ذباب . " [1]

11 – يقول الإمام الصنعاني عن مشركي هذه الأيام مثل عبدة الأضرحة والأولياء :

" فإن قلت : أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والأولياء والفسقة والخلعاء مشركين ،كالذين يعتقدون في الأصنام ؟

قلت : نعم ، قد حصل منهم ما حصل من أولئك وساووهم في ذلك ، بل زادوا في الإعتقاد والإنقياد والإستعباد ، فلا فرق بينهم .

فإن قلت : هؤلاء القبوريون يقولون نحن لا نشرك بالله تعالى ولا نجعل له نداً ، والإلتجاء إلى الأولياء والإعتقاد فيهم ليس شركاً .

قلت : نعم **﴿ يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ﴾** ، لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك . فإن تعظيمهم الأولياء ، ونحرهم النحائر لهم شرك . والله تعالى يقول **﴿ فصل لربك وانحر ﴾** أي لا لغيره كما يفيده تقديم الظرف ، ويقول تعالى **﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾** . وقد عرفت بما قدمناه قريباً أنه صلى الله عليه وسلم قد سمى الرياء شركاً فكيف بما ذكرناه ؟

فهذا الذي يفعلونه لأوليائهم : هو عين ما فعله المشركون وصاروا به مشركين ، ولا ينفعهم قولهم : نحن لا نشرك بالله شيئاً ، لأن فعلهم أكذب قولهم.

فإن قلت : هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلونه .

قلت : قد صرح الفقهاء في كتب الفقه في باب الردة : أن من تكلم بكلمة الكفر يكفر ، وإن لم يقصد معناها . وهذا دال على أنهم لا يعرفون حقيقة الإسلام ، ولا ماهية التوحيد ، فصاروا حينئذ كفاراً كفراً أصلياً.

فإن قلت : فإذا كانوا مشركين وجب جهادهم ، والسلوك فيهم ما سلك رسول الله ﷺ في المشركين .

قلت : إلى هذا ذهب أئمة العلم ، فقالوا : يجب أولاً دعاؤهم إلى التوحيد."[2]

وقال ابن قدامة في روضة الناظر في باب الاجتهاد قال : " وزعم الجاحظ أن مخالف ملة الإسلام إذا نظر فعجز عن إدراك الحق فهو معذور غير آثم وهذا باطل يقيناً وكفر بالله تعالى ورد عليه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم فإنا نعلم قطعاً أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر اليهود والنصارى بالإسلام واتباعه وذمهم على إصرارهم ونقاتل جميعهم ونقتل البالغ منهم ونعلم أن المعاند العارف مما يقل وإنما الأكثر مقلدة اعتقدوا دين آبائهم تقليداً ولم يعرفوا معجزة الرسول –ثم ذكر آيات في ذلك– " اهـ

---

[1] **فتح المجيد ، ص149.**

[2] **رسالة تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ، للإمام الصنعاني ، ص22.**

وقال الشوكاني في إرشاد الفحول في باب الاجتهاد : " ما يكون الغلط فيه مانعاً من معرفة الله ورسوله كما في إثبات العلم بالصانع والتوحيد والعدل قالوا فهذه الحق فيها واحد فمن أصابه أصاب الحق ومن أخطأه فهو كافر" اهـ

قال عبد اللطيف بن عبد الرحمن في توضيح كلام ابن تيمية : " إن الأمور التي هي مناقضة للتوحيد والإيمان بالرسالة فقد صرح رحمه الله (أي ابن تيمية) في مواضع كثيرة بكفر أصحابها وقتلهم بعد الاستتابة ولم يعذرهم بالجهل " [1].

وقال عبد الرحمن بن حسن : " والعلماء رحمهم الله تعالى سلكوا منهج الاستقامة وذكروا باب حكم المرتد ولم يقل أحد منهم أنه إذا قال كفرا أو فعل كفرا وهو لا يعلم أنه يضاد الشهادتين أنه لا يكفر بجهله وقد بين الله في كتابه أن بعض المشركين **جهال مقلدون** فلم يرفع عنهم عقاب الله **بجهلهم** كما قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [الحج : 3-4] " [2]

س46 – هل هناك إمكان وجود من لم تبلغه دعوة التوحيد في الدنيا بأية صورة من الصور ؟

الجواب : اختلف العلماء في هذه المسألة :

1-ذهب فريق إلى منع وقوع ذلك شرعاً وإن أجازه عقلاً ، فعند هؤلاء عدم وجود من لم تبلغه دعوة التوحيد في الدنيا قبل موته بأية صورة من الصور، وذلك لعموم الأدلة القرآنية الدالة على إرسال الرسل وإقامة الحجة في الدنيا على كل شخص ، وأن الدنيا هي دار التكليف والابتلاء ، ولا تكليف بعدها ، واستدلوا بعموم ما جاء في القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلا خلا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ [فاطر: 24] وقال تعالى : ﴿ **وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلآ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَاد** ﴾ [الرعد: 7] وقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ [النحل: 36] وقال تعالى : ﴿ **تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۞ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ** ﴾ [الملك: 8-9] وقال تعالى : ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ**

---

[1] المنهاج ص **101** ، والدرر السنية **433.432/10** .

[2] الدررالسنية ، **479،478/11** .

يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ ﴾ [الأنعام: 130]

جاء في حديث وفد بني المنتفق " ...فقلت : يا رسول الله ، هل لأحد مما مضى من خير في جاهليتهم ؟ فقال رجل من عرض قريش : والله إن أباك المنتفق لفي النار . قال فكأنه وقع حر بين جلد وجهي ولحمه مما قال لأبي على رؤوس الناس، فهممت أن أقول : وأبوك يا رسول الله ؟ ثم إذا الأخرى أجمل ، فقلت : يا رسول الله وأهلك ؟ قال:" **وأهلي ، لعمر الله حيث ما أتيت على قبر عامري أو قرشي أو دوسي ، قل : أرسلني إليك محمد ، فأبشر بما يسوءك ، تجر على وجهك وبطنك في النار** ." قال : فقلت : يا رسول الله ، وما فعل بهم ذلك وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه وكانوا يحسبون أنهم مصلحون . قال ﷺ : " **ذلك بأن الله بعث في آخر كل سبع أمم نبياً ، فمن عصى نبيه كان من الضالين، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين** " [1]

وهؤلاء الذين منعوا إمكان وجود من لم تبلغه دعوة التوحيد في الدنيا بأية صورة من الصور شرعاً ، منعوا من وجود من أطلق عليهم " أهل الفترة " ، ولم يصححوا حديث الأربعة الذين يختبرهم الله عز وجل يوم القيامة (الحديث سيأتي ذكره لاحقاً)[2]

2-وذهب الفريق الآخر إلى جواز وجود من لم تبلغه دعوة التوحيد في الدنيا شرعاً وعقلاً . فقدروا وجود " أهل الفترة " وكان دليلهم حديث الأربعة الذين يختبرهم الله عز وجل يوم القيامة ، فصححوه وقالوا به . ومن هؤلاء ابن كثير والقرطبي وابن تيمية وابن القيم وابن حزم والشنقيطي .[3]

أما حديث الأربعة فهو : عن الأسود بن سريع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فترة . فأما الأصم فيقول : رب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الأحمق فيقول : رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر ، وأما الهرم فيقول : رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذي مات في الفترة فيقول : رب**

---

[1] **رواه أحمد .**

[2] **انظر القرطبي تفسير آية الإسراء 15 ، وتفسير ابن كثير ج5ص54 ، وتفسير الألوسي ج15 ص37 ، والمقدمات لابن رشد ج1 ص266.**

[3] **انظر تفسير ابن كثير ج5 ص55 ، وطريق الهجرتين ص414 ، والإحكام لابن حزم ج5 ص686 ، وأضواء البيان ج3 ص 440و348 .**

ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه ، فيرسل إليهم : أن ادخلوا النار ، فو الذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً " [1]

ثم إن القائلين بوجود أهل الفترة قد قسموا أهل الفترة إلى قسمين :

أ- قسم متابع لما عليه أهل الشرك ، مستنيم لهم ، غير عامل على البحث عن غير دينهم ، سواءً وجد غير هذا في زمانه أم لم يوجد .فهذا القسم غير معذور ولا يدخل في مقتضى آية الإسراء أو حديث الأربعة .

ب- وقسم عرف ما عليه أهل زمانه من الشرك والمنكر ، فرفضه ، ولكنه لم يجد ديناً يتعبد به إلى الله ، لعدم وجود آثار الرسالة في هذا الزمان . وهذا إما أن يكون موحداً ولكنه يجهل أيَّة شريعة يتقرب بها إلى الله ، وذلك لعدم وجودها في زمانه ، فهذا ناجٍ يوم القيامة ، ومثاله " المتحنفين " [2] من العرب قبل بعثة الرسول ﷺ .

وإما أن يكون تاركاً لما عليه قومه من عبادة غير الله متوقفاً عنه ، ولكنه لم يصل إلى الدين الصحيح بعد أن جهد في طلبه وتحصيله فلم يتمكن ، فهذا الذي يدخل في مقتضى آية الإسراء و حديث أهل الفترة .[3]

س47 – هل تكفير الناقض لأصل الدين ظاهراً وعدم عذره بالجهل والتأويل والتقليد يقتضي الحكم عليه بالعذاب والخلود في جهنم ؟

الجواب : إن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه هذا هو رأي جمهور أهل السنة . وبعض أدلتهم هي :

1 – قال تعالى : ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً** ﴾ [الإسراء: 15]

2 – وقال تعالى: ﴿**رّسُلاً مّبَشّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجّةٌ بَعْدَ الرّسُلِ**﴾ [النساء: 165]

3- وقال تعالى : ﴿ **تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۞ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ ۞ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۞ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [الملك: 8-11]

4 – وقال تعالى : ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ** ﴾ [الأنعام: 130]

---

[1] **رواه أحمد ، ولقد صححه كثير من العلماء ، والحديث برواياته المختلفة في تفسير ابن كثير ج 5 ص 51 .**

[2] **الأحناف من العرب هم الذين فارقوا دين آبائهم مثل عبادة الأوثان ، واتجهوا لله وحده – وذلك قبل بعثة الرسول ﷺ – من غير أن يعلموا عن الشرائع السابقة شيئاً صحيحاً ، ومن هؤلاء مثلاً زيد بن عمرو بن نفيل .**

[3] **انظر الاعتصام للشاطبي ج1ص161 ، وطريق الهجرتين لابن القيم ص413 .**

5 – وقال تعالى : ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ [الزخرف: 76]

والظالم من عرف ما جاء به الرسول أو تمكن من معرفته بوجه من الوجوه وخالفه ، وأما من لم يعرف ما جاء به الرسول وعجز عن ذلك فكيف يقال إنه ظالم ؟ وهذا كثير في القرآن يخبر أنه إنما يعذب من جاءه الرسول وقامت عليه الحجة وهو المذنب الذي يعترف بذنبه .

فالعذاب يستحق بسببين :

أحدهما– الإعراض عن الحجة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها وهو كفر الإعراض .

والثاني – العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها وهو كفر العناد .

وأما كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل .

وهذا هو رأي جمهور أهل السنة .

يقول الإمام ابن القيم : " إن الله سبحانه لا يعذب أحداً إلا بقيام الحجة عليه كما قال تعالى : **﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾** [الإسراء: 15]... وهذا كثير في القرآن ، يخبر أنه إنما يعذب من جاءه الرسول وقامت عليه الحجة ". [1]

ويقول الشنقيطي : " إن الله جل وعلا لا يعذب أحداً من خلقه ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، حتى يبعث إليه رسولاً ينذره ويحذره ، فيعصي ذلك الرسول ، ويستمر على الكفر والمعصية بعد الإنذار والإعذار " . [2]

ويقول الشنقيطي : " والآيات القرآنية مصرحة بكثرة ، على عدم الاكتفاء بما نصب من الأدلة ، وما ركز من الفطرة ، بل إن الله تعالى لا يعذب أحداً حتى يقيم عليه الحجة بإنذار الرسل ، فمن ذلك قوله **﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾** فإنه قال فيها : حتى نبعث رسولاً ، ولم يقل حتى نخلق عقولاً ، وننصب أدلة ، ونركِّز فطرة " . [3]

ويقول الشنقيطي : " وهذه الآيات التي ذكرنا وأمثالها في القرآن تدل على عذر أهل الفترة بأنهم لم يأتهم نذير ، ولو ماتوا على الكفر ، وبهذا قالت جماعة من أهل العلم ، وذهبت جماعة أخرى من أهل العلم إلى أن كل من مات على الكفر فهو في النار ولو لم يأته نذير " . [4]

---

[1] طريق الهجرتين ، ص429 .

[2] أضواء البيان ، ج3 ص429 .

[3] أضواء البيان ، ج2 ص201 .

[4] أضواء البيان ، ج3 ص431 . وقد ساق الشنقيطي أدلة الفريقين بتفاصيلها ، ووجهة نظر كل فريق ورده على أدلة الفريق الآخر في بحث لطيف ، فيمكن الرجوع إليه ، راجع أضواء البيان ج3 ص449 وما بعدها ، ودفع إيهام الاضطراب ص178 وما بعدها.

وذهب جمهور الحنفية والمعتزلة وغيرهم على أن العقل وحده مناط التكليف في التوحيد ، وأن الإنسان قد فطر على إدراك التوحيد وحده ، فيجب عليه أن يصل إلى الحق بالنظر والاستدلال ، وأنه سيحاسب في الآخرة على هذا الأساس حتى ولو لم يأته رسول من الله عز وجل .

يقول الإمام أبو حنيفة : " لا عذر لأحد من الخلق في جهله معرفة خالقه ، لأن الواجب على جميع الخلق معرفة الرب سبحانه وتعالى ، وتوحيده ، لما يرى من خلق السموات والأرض ، وخلق نفسه ، وسائر ما خلق الله تعالى ، فأما الفرائض فمن لم يعلمها ولم تبلغه ، فإن هذا لم تقم عليه حجة حكمية ". [1]

ولا بد من التذكير هنا أن الخلاف بين العلماء إنما في أحكام الآخرة فقط، أما من فعل الشرك في الدنيا فلا خلاف بين العلماء بأنه مشرك في أحكام الدنيا سواء قامت عليه الحجة أم لم تقم ، وإنما اختلفوا في حكم الآخرة .

يقول الإمام ابن القيم: "والله يقضي بين عباده يوم القيامة بحكمة وعدله، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل ، فهذا مقطوع به في جملة الخلق ، وأما كون زيد بعينه أو عمرو قامت عليه الحجة أم لا ، فذلك مما لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه ، بل الواجب على العبد أن يعتقد : أن كل من دان بدين غير الإسلام فهو كافر . وأن الله سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول . هذا في الجملة ، والتعيين موكول إلى الله ، وهذا في أحكام الثواب والعقاب، وأما في أحكام الدنيا فهي جارية على ظاهر الأمر...". [2]

س48- ما حكم من جهل المعاني والألفاظ وتكلم بكلام لا يعرف معناه في الأقوال غير الصريحة أو قال لفظاً محتملاً وقصد المعنى غير الفاسد ؟

الجواب : من تكلم بكلام لا يعرف معناه في الأقوال غير الصريحة أو قال لفظاً محتملاً وقصد المعنى غير الفاسد يعذر بجهله لا وزر عليه .

وجهل المعنى يكون في الحالات التالية :

1. أن يتكلم بما لا يعرف فلم يعلم المعنى أو علمه ولم يقصده في غير الصريح .
2. أن يتكلم بما لا يعقل .
3. أن يتكلم بألفاظ صريحة لكن مع ذهاب الأهلية بجنون أو نوم أو سكر .

ولا بد من التذكير أن هناك فرق بين من جهل المعنى والألفاظ وبين الهازل. فالهازل من قصد اللفظ ولم يقصد حكمه .فهذا لا يعذر بجهله للحكم .

---

[1] **راجع بدائع الصنائع للكاساني ج9 ص4378. والفقه الأكبر بشرح ملا علي القاري ص 116.**

[2] **طريق الهجرتين ، ص413.**

س 49– ما هو الدليل على أن من تكلم بكلام لا يعرف معناه في الأقوال غير الصريحة أو قال لفظاً محتملاً وقصد المعنى غير الفاسد أنه لا وزر عليه ؟

الجواب :

قال تعالى : ﴿ **رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ [البقرة: 286] وقال تعالى : ﴿ **وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [الأحزاب: 5] وقال تعالى : ﴿ **لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: 255]

قال رسول الله ﷺ : (**إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان**) [1]

وقصة الرجل الذي أخطأ من شدة الفرح فقال :"أنت عبدي وأنا ربك" (رواه مسلم)

قال ابن تيمية : " وقد سبق اللسان بغير ما قصد القلب كما يقول الداعي من الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك .. " [2]

وقصة حمزة الذي رواها البخاري وفيها (فقال حمزة رضي الله عنه – قبل تحريم الخمر – للرسول ولمن معه : هل أنتم إلا عبيد لأبي)

قال ابن القيم في الهدي : " وهذا القول لو قاله غير سكران لكان ردة وكفر ولم يؤخذ بذلك حمزة رضي الله عنه " . اهـ

وقال رسول الله ﷺ : (**لا طلاق ولا إعتاق في إغلاق**) [3]

وقال رسول الله ﷺ : (**رفع القلم عن ثلاثة وذكر منهم المجنون والنائم**) [4]

وفي الأثر رواه وكيع عن ابن أبي ليلي عن الحكم بن عتيبة عن خيثمة بن عبد الرحمن قال : قالت امرأة لزوجها سمني ، فسماها الظبية ، فقالت : ما قلت شيئاً ، قال فهات ما أسميك به قالت سمني خلية طالقاً ، قال أنت خلية طالق ، فأتت عمر فقالت إن زوجي طلقني فجاء زوجها فقص عليه القصة فرد عمر الطلاق .

قال ابن القيم في الهدي : " فهذا حكم من أمير المؤمنين عمر بعدم الوقوع لما لم يقصد اللفظ الذي يقع به الطلاق بل قصد لفظاً لا يريد به الطلاق ". اهـ (وقد ذكر أن هناك فرقاً بين من قصد اللفظ وهو عالم به ولم يرد حكمه ، وبين من لم يقصد اللفظ ولم يعلم معناه) .

---

[1] **صححه ابن حبان والحاكم .**

[2] **في رده على البكري ، ص 244 .**

[3] **رواه أبو داود وأحمد عن عائشة .**

[4] **رواه أبو داود وصححه ابن حبان والحاكم .**

قال ابن تيمية : "والرجل إذا حلف على شيء يعتقده كما حلف عليه فتبين بخلافه فهو مخطئ قطعاً ولا إثم عليه باتفاق " . [1]

وذكر البهوتي في باب المرتد فيمن سب التوراة : " (وهو سب محتمل غير صريح) إن قصد المحرفة فلا شيء عليه وإن قصد المنزلة من عند الله فهذا يُقتل ولا تقبل توبته ، و قال أيضاً فيمن لعن دين اليهود فإن قصد الذي هم عليه لأنه غُير وبدل فلا شيء عليه ." [2]

س50 – ما حكم من تكلم بلفظ صريح وقال لا أقصد معناه ولا أعرف حكمه ؟

الجواب : إن الألفاظ الصريحة يجري حكمها وما تقتضيه وإن زعم المتكلم بها ، أنه قصد ما يخالف ظاهرها.

والدليل على ذلك :

قال تعالى : ﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللّه مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِم** ﴾ [التوبة: 74] وقال تعالى : ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ ۞ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ [التوبة: 65-66]

قال ابن تيمية : " ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ** ﴾ فاعترفوا واعتذروا ، ولهذا قيل: ﴿ **لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفراً بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر ، تبين أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه ، فدل على أنه كان عندهم إيمان ضعيف ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا أنه محرم ، ولكن لم يظنوه كفراً وكان كفراً كفروا به ، فإنهم لم يعتقدوا جوازه . [3] "

ويقول ابن تيمية " فمن قال أو فعل ما هو كفر كفر بذلك وإن لم يقصد أن يكون كافراً إذ لا يقصد الكفر أحد إلا ما شاء الله " [4]

قال تعالى : ﴿ **هَلْ تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [النمل: 90]

وقال عبد اللطيف : " وقد قرر الفقهاء وأهل العلم في باب الردة وغيرها أن الألفاظ الصريحة يجري حكمها وما تقتضيه وإن زعم المتكلم بها أنه قصد ما يخالف ظاهرها وهذا صريح في كلامهم يعرفه كل ممارس " [5]

---

[1] **الفتاوى ، 210/19 .**

[2] **كشاف القناع ، 171/6 مختصراً .**

[3] **مجموع الفتاوى : ج7 ص273.**

[4] **الصارم المسلول ، ص 177.**

[5] **المنهاج ، ص 134 .**

وقال عبد الرحمن بن حسن : " والعلماء رحمهم الله تعالى سلكوا منهج الاستقامة وذكروا باب حكم المرتد ولم يقل أحد منهم أنه إذا قال كفراً أو فعل كفراً وهو لا يعلم أنه يضاد الشهادتين أنه لا يكفر بجهله وقد بين الله في كتابه أن بعض المشركين **جهال مقلدون** فلم يرفع عنهم عقاب الله **بجهلهم** كما قال تعالى :**﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۞ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾** [الحج : 3-4] " [1]

س51– هل هناك فرق بين تكفير الشخص المعين ، وبين الحكم على فعله بالكفر ؟

الجواب : نعم هناك فرق بين تكفير الشخص المعين ، وبين الحكم على فعله بالكفر ، والسبب أن إجراءات تكفير المعين تحتاج لتأكد وتثبت ويمكن فيه جهل الحال ، وهل قام به الفعل أو القول الكفري أو لم يقم ؟ وهل هو خالٍ من الموانع ولا لبس ولا خفاء فيه ؟ – وهذا أيضا يحتاج إلى علم – أمَّا الحكم على من ثبت عليه الكفر ، فهذا لا يحتاج لذلك ، فلا يحتاج أن نتوقف في أن من عبد غير اللَّه أنه كافر ؟ أو أن عبادة غير اللَّه ليست بكفر ؟ بل هي كفر أكبر .

فسجود العبادة لغير الله كفر ، فمن لم يعرف أن سجود العبادة لغير الله كفر، أو قال أن سجود العبادة لغير الله ليست بكفر فهو كافر .

وكذلك الذبح لغير الله كفر فمن لم يعرف أن الذبح لغير الله كفر ، أو قال أن الذبح لغير الله ليس بكفر فهو كافر .

وكذلك التحاكم لغير شرع الله كفر فمن لم يعرف أن التحاكم لغير شرع الله كفر، أو قال أن التحاكم لغير شرع الله ليس بكفر فهو كافر .

وكذلك ترك حكم الله والحكم بالقوانين الوضعية كفر فمن لم يعرف أن ترك حكم الله والحكم بالقوانين الوضعية كفر ، أو قال أن ترك حكم الله والحكم بالقوانين الوضعية ليس بكفر فهو كافر .

والسبب لأنه جهل حكم الفعل ، وهنا لا يقبل منه هذا الجهل ، وليس مثل جهل الحال ، فلو قال هذا الشخص : " أنا لا أكَفِّر هذا المعين الذي تقول عنه أنه ذبح لغير الله ، أو سجد سجود عبادة لغير الله ، أو تحاكم لغير شرع الله ، أو ترك حكم الله وحكم بالقوانين الوضعية لعدم الثبوت ، ولكن لو ثبت أنه ذبح لغير الله ، أو سجد سجود عبادة لغير الله ، أو تحاكم لغير شرع الله ، أو ترك حكم الله وحكم بالقوانين الوضعية ، فهو كافر " فهذا الذي يقول هكذا لا يُكَفَّر ، لأنه جهل الحال ولم يجهل الحكم ، وفرق بينهما.

قال تعالى : **﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ ۞ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾** [التوبة: 65-66] وقال تعالى : **﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ**

[1] الدرر السنية ، **11/478،479** .

أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 255] وقال تعالى : ﴿ **رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ [البقرة: 286]

وقال رسول الله ﷺ : (**إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان**) [1]

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : " إذا نطق بكلمة الكفر ولم يعلم معناها صريح واضح أنه يكون نطق بما لا يعرف معناه وأما كونه أنه لا يعرف أنها تكفره فيكفي فيه قوله ﴿ **لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ** ﴾ فهم يعتذرون للنبي صلى الله عليه وسلم ظانين أنها لا تُكَفِّر ." اهـ [2]

وهنا أحب أن أختم هذه المسألة بعدة نقاط :

1 – أن مسألة جهل الحال فيما غاب عنك ، أما الشيء الذي تشاهده أو تسمعه فلا ، فهذا لا يقال فيه أنني أجهل حاله . مثال ذلك : إنساناً أمامك يذبح لغير اللّه أو يمزق المصحف ، أو علماني يسخر بالدين أو المتدينين ، أو رجل ادعى حقه بالتشريع مع الله أو دونه أو رجل شرع قانوناً من دون الله ، أو رجل أجاز التحاكم إلى غير شرع الله أو رجل تحاكم إلى غير شرع الله أمامك تسمع وترى فهذا لا تقل لا أكفره ؛ لأنني أجهل حاله .

2 – أن جهل الحال يزول بزوال الشبهة إذا اتضحت كفريات المرتد واشتهرت .

ومثال ذلك حكّام اليوم الذين يحكمون بالقوانين الوضعية فلا عذر بجهل حالهم لأن كفرهم بواح منتشر .

س52– ما هو المقصود بأصول الشريعة ؟

الجواب :

أصول الشريعة هي : القواعد القطعية فيها سواء الثابتة بالنص أو بالاستقرار الكلي للنصوص استقراء مفيداً للقطع .

مثل قاعدة " **لا ضرر ولا ضرار** " و " **لا تزر وازرة وزر أخرى** " و " **ما جعل عليكم في الدين من حرج** " و" **إنما الأعمال بالنيات** " وهكذا .

ويدخل أيضا في حكم أصول الشريعة ، المتواتر من الأخبار والصفات الثابتة التي لا تعرف إلا بالنقل ، ومواقع الاجماع ، والمعلوم من الدين بالضرورة من مسائل الفروع .

يقول محمد أبو زهرة نقلاً عن الشافعي في " الرسالة " : " ... وقد قسم الشافعي العلم إلى قسمين : أحدهما : علم بالأمور القطعية ، ويسميه رضي الله عنه علم العامة ، أي العلم الذي يعلمه كافة المسلمين من غير استثناء

---

[1] **صححه ابن حبان والحاكم .**

[2] **تاريخ نجد ، ص452 المسألة الرابعة .**

لا ينفرد به خاصتهم ولا يعذر في الجهل به عامتهم . وذلك مثل وجوب الصوم والحج والزكاة وتحريم القتل والزنا والسرقة والخمر وما كان في معنى ذلك مما كلف العباد أن يعملوه ويعلموه ويعطوه من أنفسهم وأموالهم ، وأن يكفوا عما حرم الله تعالى وهذا الصنف من العلم هو ما ثبت بالنص القرآني أو الحديث النبوي وأجمع عليه المسلمون وهو ما يسمى من الاصطلاح " **بما علم من الدين بالضرورة** " وهو إطار الإسلام الذي لا يعد المرء مسلماً إلا إذا علم به وأذعن له " أهـ[1]

س53- ما حكم الجهل في أصول الشريعة وهل فيه عذر بالجهل ؟

الجواب :

1- إن كان المكلف في مكان تتوفر فيه مظنة العلم -كدار الإسلام مثلاً -كان آثماً ولم يعذر بجهله ويقام عليه الحد إن انبنى على قوله عمل فيه حد سواء كان متأولاً أم غير متأول .

وإن كان المكلف في مكان لا تتوفر فيه مظنة العلم -كدار الحرب مثلاً - لم يكن آثما وعذر بجهله فإن أقيمت عليه الحجة فأنكر كفر بذلك .

أما عن مظنة العلم فيكفي فيها إمكان العلم- بانتشاره مثلاً - ولا يشترط تحقق العلم فعلاً .

يقول الكاساني : " إلا أن حقيقة العلم ليست بشرط بل إمكان الوصول إليه كاف ". [2]

يقول البيضاوي في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ** ﴾ [الأنعام: 19] يقول : " هو دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وأنه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه " أ هـ [3]

س54- ما هي أقسام الأدلة من حيث الثبوت والدلالة وما هو حكمها؟

الجواب : أقسام الأدلة من حيث الثبوت والدلالة هي :

1- قطعي الثبوت قطعي الدلالة : وهو الذي لا شك في صحة سنده ، ولا يحتمل وجهاً آخر لمعناه . مثل قوله تعالى : ﴿ **إن الله على كل شيء قدير** ﴾ [البقرة: 20]

فهذا القسم من الأدلة يكفر منكره بعد العلم به بلا خلاف . لأنه أنكر ما ثبت بصورة قطعية تفيد العلم اليقيني .

---

[1] **راجع كتاب الجريمة والعقاب في الفقه الإسلامي لمحمد أبو زهرة ص 530** .

[2] **بدائع الصنائع ج9 ص4378.**

[3] **تفسير البيضاوي ، ج1 ص 168.**

وكذلك القواعد القطعية في أصول الشريعة التي ثبتت قطعيتها بالنص أو بالاستقراء الكلي للنصوص ، وكل ما هو في مقام القطعية مثلها ، كالمعلوم من الدين بالضرورة من مسائل الفروع مثل تحريم الخمر والزنا ، ووجوب الصوم والحج والزكاة .

2- قطعي الثبوت ظني الدلالة : وهو ما لا شك في صحة سنده ، ولكن معناه يحتمل أوجهاً متعددة . مثل قوله تعالى : **﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾** [البقرة: 228]

فهذا القسم من الأدلة من جحدها جهلاً أو تأويلاً يعذر فلا يكفر .

3-**ظني الثبوت قطعي الدلالة** : مثل الأخبار التي ثبتت بخبر الواحد ولكن معناها واضح بين لا تأويل له . كخبر التعديل في حديث المسيء صلاته لأنه عليه الصلاة والسلام أمر الأعرابي بالإعادة ثلاثاً فقال له كل مرة : ارجع فصل فإنك لم تصل ثم علمه الصلاة .

فهذا القسم من الأدلة من جحدها جهلاً أو تأويلاً يعذر فلا يكفر .

4- ظني الثبوت ظني الدلالة : مثل معظم أحاديث الآحاد في فروع الشريعة، والتي تحتمل التخصيص أو التقييد كخبر الترتيب في الوضوء ، لأنه معارض بما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه نسي مسح الرأس في الوضوء ، فتذكر بعد فراغه فمسحه .

فهذا القسم من الأدلة من جحدها جهلاً أو تأويلاً يعذر فلا يكفر .

س55- ما حكم الجهل في الأمور التي تعتبر من الأصول الإعتقادية عند أهل السنة ولكنها لم تثبت بطريقة قطعية فهي ظنية الثبوت عند البعض؟

الجواب : الأمور التي تعتبر من الأصول الإعتقادية عند أهل السنة ولكنها لم تثبت بطريقة قطعية فهي ظنية الثبوت عند البعض ، لا يكفر جاهلها قبل إقامة الحجة عليه.

والجمهور على عدم تكفيره حتى لو أنكرها بعد إقامة الحجة عليه إن كان متأولاً – وذلك لعدم قطعية الدليل – بل يعتبر مبتدعاً أو فاسقاً .

فإن أنكرها غير متأول لها بعد ثبوتها عنده كفر بذلك لأنها تعتبر هنا قطعية بالنسبة إليه .

فمثلاً : ذكر ابن حزم في مقدمة " المحلى " في معرض كلامه عن أصول العقيدة عند أهل السنة ، مسألة رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة فقال :

" المسألة الثالثة والستون : اعتقاد أن الله تعالى يراه المسلمون يوم القيامة بقوة غير هذه القوة ". [1]

---

[1] **المحلى لابن حزم ، ج1 ص34.**

يقول القاضي عياض : " قال القاضي أبو بكر : وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض والتولد وشبهها من الدقائق- فالمنع في إكفار المتأولين فيها أوضح إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئاً منها ". اهـ. [1]

ودليل أهل السنة في رؤية الله سبحانه وتعالى قوله تعالى :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة :22-23]

وقوله ﷺ : "**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا** – وكان ناظراً إلى القمر – **لا تضامون في رؤيته** " [2]

وبالرغم من هذا لم يكفروا من أنكر الرؤية من المعتزلة وغيرهم ، لأنهم تأولوا الآية والحديث ، واحتجوا بقوله تعالى : **﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾** [الأنعام: 103]

س 56 – ما هي خلاصة قضية تكفير الشخص المعين ؟

الجواب :

1– إن كل من كان كفره بنقض ركن من أركان التوحيد وسقوطه في شرك أكبر ينقل عن الملة ، فإنه يكفر بذلك عيناً في إجراء الحكم عليه في الدنيا على أساس ظاهر أمره .

– وإن كان كفره واقعاً على غير هذا من أمور الشريعة حيث لا توجد مظنة العلم بها ، احتاج الأمر إلى إقامة الحجة الواضحة عليه ، لأنه قد يكون لم تبلغه فروع الشريعة المحمدية بالفعل في هذه الجزئية ، فإذا ما أنكر بعد إعلامه بها وإقامة الحجة عليه في نفس الأمر دون تأويل مستساغ كفر بذلك عيناً .

وفي الختام أقول : ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب ...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالين .

---

[1] **الشفا للقاضي عياض ، ج2 ص 1086** .

[2] **رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح** .

المحتويات

